روايات مصرية للجيب

35

سلسلة الروايات

Looloo
www.looloolibrary.com

آلة الزمن

مقـدمـة

تتمنى أن تتعلم الهندسة على يد فيثاغورث .. وتأخذ الطب من ابن سينا والموسيقى من بيتهوفن .. تشتاق لتعلم فنون الحرب من خالد بن الوليد وأسرار المسرح من شكسبير ..

وعبقرية الإدارة من إبراهيم الفقى .. !!

للأسف كل هؤلاء العباقرة .. ماتوا ..

لكنهم فى ذاكرة التاريخ .. أحياء ..

هل ترغب فى استعادة هذه الذاكرة ؟؟

نحن نستطيع ..

بشرط ..

أن تصبح .. أنت .. جزءًا من هذا التاريخ ..

1 ـ نرفض حرية (روزفلت) ..

صوت زعيم حزب العمال (النازى) الأشهر (أدولف ألويس هتلر) يتردد فى أنحاء الميدان الفسيح ، وكلماته تعلو بقوة :

ـ الحرب ... الحرب ..

الحرب .. هى أعظم خبرة تمر بها فى حياتك كلها ..

تشجيع وهتاف حاد من الجماهير ،،

وسط الزحام والحشود الكبيرة يجرى (رودج) فى زى ضابط ألمانى محتضنًا بكفه اليمنى .. حافظة جلدية سميكة مغلقة بإحكام ..

يرتطم جسده الهزيل بالعشرات وهو يكاد يقع لفرط لهفته ولهاثه المتواصل ، كأنه كان يجرى منذ الصباح ..

صوت (الفوهلر) يرتفع :

ـ نريد حرية من صنع أيدينا .. نحن نرفض حرية روزفلت .. ونرفض حرية تشرشل .. نريد حرية خالصة ناصعة منّا .. ولنا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

لكن أذن (رودج) لا تميـز كلمـات الزعيم ، ولا تجذبه الكاريزما الخارقة لهتلر وإنما يجذبه مدخل البناية العتيق .. فيهدأ عندها قليـلاً ، ويمشى بطريقـة عسكرية آلية ، محاولاً السيطرة على لهاثه ، وهو يصعد الدرج ضاربًا درجاته الحجرية بقوة ومجيبًا تحية عساكر الأمن بتحية سريعة وإشارة قوية متشنجة كما تعلمها :

ـ هايل هتلر ..

ثم يعود للجرى داخل المبنى حين يرتقى السلالم ويدلف لثانى ممر ومنه لسلالم جانبية صغيرة حتى يصل لطابق معين يدخل من خلاله لغرفة ضيقة ذات نافذة متوسطة الحجم ؛ ليجد رجلاً عجوزًا منهمكًا فى ترتيب بعض الملفات والذى التفت إليه فى اهتمام ودهشة متفحصًا ملابسه العسكرية ..

وفى نفس اللحظـة يشير جنود حراسـة البناية بخوف إلى الداخل حين يسألهم بقوة خمسة ضباط يضعون شارة البوليس السرى الألمـانى (الجستابو) ؛ فينطلقون فى إثره وفى نفس الممر ..

يقتحمون عدة حجرات فى عنف حتى يعثروا عليه ..

كان (رودج) يحاول القفز بعد أن حشر جسده النحيل حشرًا فى النافذة ..

وحين ارتطم بالأرض الصلبة عجزت أقدامه عن مواصلة الجرى ..

لكنه تحامل بكل ما أوتى من قوة واستند بيديه للحائط محاولاً النهوض ..

وفى لحظات كان الضباط فى نفس مكان السقطة ..

ولم يكن لـ (رودج) أدنى أثر .. فى هذا المكان ..

ـ لم تبتلعه الأرض .. هو .. هنا .. أو هنا .. أو هناك .. لن يقبل الفوهلر أى عذر .. هو يريده حيًا ..

نطقها بحدة أحد الضباط مشيرًا للمدخل الوحيد والشارعين بجواره .. وفى سرعة واحترافية توزع الباقون ليواصلوا المطاردة بإصرار ..

أما (رودج) فقد اختبأ خلف باب المدخل الكبير منكمشًا على نفسه محاولاً منع أنفاسـه ، لا شـك أن فارق السـن لمصلحة الضباط المتحمسين .. وإصابة قدمه .. الآن ليست هينة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وبسرعة كان أحدهم يصيح منتصرًا :

ـ ها هو .. سيدى .. لقد أمسكنا به ..

وبصعوبة يعرج (رودج) فى مشيته مستسلمًا للأغلال ، التى وضعت فى يديه ..

يديه الفارغتين ..

وصدى صوت الزعيم يتردد بقوة :

ـ نعلم ما هى القوة التى تدعم (روزفلت) .. إنهم اليهود .. وأنا ممتن للشعب الألمانى الذى اختارنى لقيادة هذا الصراع التاريخى الذى سيحدد تاريخ العالم فى القرون العشرة القادمة ..

إن آباءنا لم يُصنع لهم مجد أمتنا ..

بل صنعوه بأنفسهم ..

يقابله هتاف هستيرى من الجموع التى أحبت (هتلر) بصدق ، وآمنت به ..

هتاف جماعى :

ـ هايل (هتلر) .. هايل (هتلر) ..

يقبض الرجل العجـوز على الحافظة الجلدية بحرص شديد .. ويخرج من المبنى ليمشى وسط شوارع برلين ، يخترق بعض الحواجز الأمنية .. ويستقل حافلة لمدة ساعة ثم يهبط فى نشاط ليقتحم مبنى قديمًا ويندمج سريعًا مع شباب المقاومة المتحمس .. حيث (سوتيه) يلهب حماسهم .. ويصف هتلر بأقذع الألفاظ ..

وحين يهمس فى أذنه أحد الشباب .. أنه يجب أن يخفف من حدة شتائمه .. ثمة بنات متطوعات فى المقاومة يصيح :

ـ نعم يا أحبائى أنا أشتم هـذا الرجل .. أنا أصفه بصفاته الحقيقية .. يجب أن تنزعوا الهيبة المصطنعة التى يعيشها .. هو مجرد ممثل .. بل هو ممثل غير بارع ..

تعلو بعض الهمهمة المؤيدة من الحاضرين ..

.. ويتدخل الرجل العجوز مهدئًا :

ـ أنا أشعر بكم يا (سوتيه) ولكن مع الشباب حق .. اذكر جرائمه يكن لذلك وقع أكبر من ألف شتيمة ..

يلتفت (سوتيه) للعجوز مواصلاً انفعاله :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ .. لا .. يا (هازنباير) .. أنت لا تشعر .. بنا .. أنت لم تفقد أحبابك فى ميدان القتال ولم ينفجر بيتك ولم يحرق النازى أختك الصغيرة ..

لماذا نثق بك .. على أية حال .. !!

لكن (هازنباير) يطأطئ رأسه وبحكمة الشيوخ يحول لهجته لصيغة عاطفية قائلاً :

ـ فعلاً .. أنا لم أفقد بيتى وأبنائى .. لكنى أسجل بيدى كل يوم .. آلاف المآسى ..

وما رأيك فى هذه المعلومة ..

يتطلع إليه (سوتيه) بعين متسائلة ليكمل العجوز قائلاً :

ـ إن الرجل الذى تريد الوصول إليه .. أصبح الآن أسيرًا .. فى الجستابو ..

سكت الجميع بمجرد سماع كلمة الجستابو الصادمة .. ليواصل العجوز قائلاً :

ـ هل أحظى بثقتك الآن ؟

وتغْنى نظرة (سوتيه) الظافرة عن أية إجابة ..

2 ـ (هارفارد) .. الآن ..

بعد التحاقى بقسم الفيزياء الحيوية بجامعة (هارفارد) ثم حصولى على كرسى للتدريس وتوفير فريق عمل كامل تحت إمرتى .. ثم حصولى على جميع الجوائز (تقريبًا) العالمية المتخصصة فى مجالى ...

استطعت أن أدمج الزمن والكتلة والخلية الحية فى منظومة واحدة ..

وهكذا أصبح السفر الزمنى منطقيًّا تمامًا ؛ لأن المعضلة أيام (أينشتاين) و(براون) و(روستى) ..

أن الخلية الحية ستنكمش ، على اعتبارها ذرات تكون كتلة كأى مادة فى الكون ..

إذا انطلقت بسرعة تقارب الضوء ،

ثم تصبح صفرًا حال وصولها لسرعة الضوء ..

وبالتالى لا يمكن أن تتجاوزها ؛ لأنها ستنعدم أساسًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ولأنى بعبقرية بسيطة فصلت بين الكتلة غيـر الحيـة والكتلة الحية ..

أعنى بذلك الخلية وخصوصًا خلية الإنسان المتطورة ..

وحددت جميع مكوناتها الكيميائية فى منظومة واضحة ..

ثم دمجتها مع معادلة الطاقة والكتلة الشهيرة ..

مع وضع عامل الزمن ...

لأجد ببساطة أن التحـرك الزمنى أو السفر عبر الزمكان ... ممكن .

لكن الكلام النظرى رغـم المشقة والإبداع والتجارب الكثيرة للوصول للمعادلة ..

رغم هذا كله .. يبقى نظريًا ،

وبالتالى لم أتردد حين جاءت الفرصة العظيمة ..

بتكليف خاص من الملكة (أعنى ملكة إنجلترا المبجلة) ؛ لأن التعاون الكبير ..

بين (أكسـفورد) و(هارفارد) جعـل الجامعة الأولى تهتم بأصحاب الكراسى مثلى ، وتولى لهم عناية خاصة وتطلعهم على نتائج زملائهم فى التخصص ..

مما يدفع حركة البحث العلمى بسرعة .. حتى أنى انتقلت فى شبه إقامة دائمة من أمريكا لإنجلترا ..

بخلاف باقى الجامعات العالمية ومراكز البحث العلمى المعتمدة فوق وتحت الأرض والتى للأسف يحرص الباحثون فيها بشدة على التكتم على نتائج بحوثهم ..

وهذا فى رأيى غباء ...

فمن السهل فى زمننا هذا أن أثبت ملكيتى للفكرة ..

فقط إذا سجلتها مؤرخة بمجرد اكتشافها ..

كما أنى أومن أن الإخلاص فى العمل هو أساس النجاح ، ومن الإخلاص عدم الخوف من سرقة الأفكار وعدم كتم العلم ..

بالعكس ، حين أفيد عددًا أكبر ؛ فهذا لمصلحتى ..

وأنا فى النهاية لا أنتظر تقديرًا من أحد على وجه الأرض ..

ولا فى هذه الدنيا الفانية ....

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

وبالفعل .. بتكليف خاص ــ كما ذكرت ــ من المبجلة ملكة إنجلترا .. بدأت العمل ضمن فريق التحرك الزمنى .

والذى اخترنا له ... الاسم التجارى الشهير :

(آلة الزمن) .

كى ننتقل بالكلام النظرى والتجارب الصغيرة ..

إلى المرحلة العملية بالتقنيات المذهلة والتمويل المفتوح ..

ولأن أى فريق عمل لابد له من قائد .. فقد تم اختيار سير / (ويلسون) ميرديون) ..

بالطبع لقيادة الفريق ..

... لم أبد اعتراضًا رغم علم الجميع أننى أول من تحدث عن الفكرة ..

وأنى صاحب براءة اختراع الجهاز الزمنى الأول ، حين أضاءت العلبة قبل أن تخرج الأشعة من الكشاف لأن الأشعة كانت تسير أسرع من الضوء ؛ أى أنها وصلت للعلبة فى الماضى ..

طبعًا نتحدث عن أجزاء من الثانية ... لكنها تثبت صحة الكلام النظرى ..

أضف إلى ذلك أنى وضعت خليـة آدميـة ــ من جلد البَنان بالتحديد ــ بحيث تنزلق على الأشعة وكأنها تركب على سطح قطار سريع ..

كانت المفاجأة المذهلة حين تم تصوير خليتين فى وقت واحد ، الأولى عند الكشاف لم تتحرك والثانية فى العلبة المستقبلة مع نفس لحظة الإضاءة .. أى أنها ببساطة ..

سافرت مع الأشعة فى الماضى ..

والأكثر روعة أنها بعد عدة تجارب وصلت سليمة .. بفضل تعديلاتى على خصائص الخلية والاختيار العبقرى لهذا النوع من الخلايا أساسًا ، لكن اختيار/ ويلس ــ كما أحب أن أناديه ــ لرئاسة الفريق .. جاء لأسباب سياسية بحتة .

إذ لا يصح أن يرأس الفريق رجل غير إنجليزى ...

كنت أتحدث عن الإخلاص منذ قليل ..

ويبـدو أيضًا أن المفاهيم الأخـلاقية تمامًا مثـل المفـاهيم الميكانيكية ..

Looloo
www.looloolibrary.com

حين تكــون نظرية ؛ فإن التحــدث بها وشرحها واستيعاب مراميها سهل بسيط ..

لكن التطبيق العملى وقولبتها فى قالب ملموس هو أمر عسير للغاية ..

لأنى لم أستسغ ــ مع مرور أيام العمل الطويلة ــ أن أكون الأكثر بصيرة وإبداعًا والقادر على ربط جميع المعطيات وخصوصًا الآلة مع الخلية مع الزمن ..

أنا ببساطة بشهادة فريق العمل وإن لم ينطقوها الأجدر لرئاسته ..

ومع ذلك فأنا فرد فى الفريق ..

وبما أن (ويلس) هو الأكبر سنًا فقد اعتبرته أخيرًا كابتن الفريق .. وحامل شارته لأنه الأقدم وليس لأنه الهداف ..

وإن ظل فى نفسى شىء يحثنى على نقل كل هذه التكنولوجيا لأبناء جلدتى ..

لكن الأحداث تغيرت ..

وهو ما سنراه الآن .....

3 ـ الفــريق ..

الواحدة والنصف بعد الظهر ..

فى ساعة الراحة التى نلتهم فيها غداءنا وفى المطعم الخاص التابع للمركز البحثى .. أجلس على المائدة المستطيلة مع بعض أعضاء الفريق ..

وحين يهم (فردريك) بدفع صينية (فهيم) .. يضع الأخير يده كحاجز ليقاوم الدفعة .. قائلاً ..

ــ مهلاً ... استأذن وسوف أفسح لك ..

ــ أو اجلس خلفنا مع (ويلس) .. وكبار السن ..

فردريك :

ــ ولماذا كل هذه المقاومة .. فقط اتركنى وسوف أنسلُّ داخلاً فى هدووووء ..

سارة :

ــ مقاومة .. يا لها من كلمة كبيرة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ فى هذا المطعم .. أشعر أنى فى سجن جماعى وأنه يجب أن أقاوم المتحرشين ..

نضحك ..

ولكنى أقول بلهجة تعليمية :

ــ المقاومة : كلمة ضئيلة تعكس واقعًا كبيرًا .. يحتل حياة كل واحد منا ..

ــ امممم .. كلام كبيير ..

ــ أنا بالفعل أقاوم رغبتى للعودة إلى الهند ..

ــ وأنا أقاوم النوم الآن بصعوبة ..

ــ أما أنا فالمقاومة واقع احتلَّ حياتى كلها ..

فأنا باختصار : أقاوم على مدى عمرى كل عوامل الفشل والإحبــاط ، لأكسر كــل .. العوائق وأرتقى بسرعــة درجــات الهــرم ..

ــ أى هرم ؟

ــ هرم النجاح .. ولا أرضى إلا إذا اعتليت قمته ..

وأنا مدرك أن كل درجة أعتليها تزيد معها صعوبة العوائق ، لكن أيضًا يزيد معها إصرارى على المقاومة ..

ــ أظــن أن المقــاومة : كلمة تصف فئة ثائرة أخذت على عاتقها مهمة مقاومة المحتل ، معنى حقيقى وليس مجازى ..

ــ وهو أروع وأصدق معنى للمقاومة ..

حين يرتع الطاغية وأعوانه ويظنون أنه لا يوجد صوت واحد حر يمتلك قوة الإيمان ليقول للظالم : لا ..

حين يطمئن اللصوص والفجرة .. معتقدين أنهم ملكوا مفاتيح الدنيا .. وأن الخرس والعمى أصاب كل الناس ، فيفاجئوا بمن يقاوم ..

من يقول بلسانه : لا للظلم ودولته ..

من يتحرك ليقاوم ويقاتل محملاً بالإيمان لمواجهة دولة الظلم ..

إن هذا ــ يا صديقى ــ أو ضح معنى للمقاومة ..

أنا شخصيًّا ، تخيلت هذا الموقف ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ تخيلت ماذا ؟

ــ أنى فرد فى مقاومة ؛ أذيق العدو المحتل الويلات وأنتصر عليه ..

ــ إذا كان هذا ما تحبه ، فأبشر ..

نطقها د. (ويلسون) الذى تابع الحوار كله من مائدته الخلفية ..

ــ أبشر بماذا ؟!

اعتدل د. (ويلسون) متطلعًا للأعين كعادته حين يستعرض قبل إضافة معلومة :

ــ هناك تكليف خاص بزيارة زمن معين ..

سكتَ لحظة مستمتعًا بنظرات الترقب :

ــ سنضبط سرعة الأشعة المتراكبة بحيث تسبق الضوء ثم تساويه عندما تلحق بالأشعة التى غادرت الأرض عند هذا التاريخ ..

ثم رفع ورقة صغيرة سجل عليها تاريخًا واضحًا ، اتسعت على أثرها أعين الفريق .. ونظروا إلى الورقة فى انبهار ..

فقد كان التاريخ .. يحمل الكثير والكثير ..

من المقاومة .....

أنا الآن على مدخل المعمل ..

وأظلمه طبعًا إذا وصفته بكلمة (معمل) فقط ..

فهو فى الواقع المركز البحثى الأكثر تطورًا على وجه الأرض ــ فيما أعلم ــ ربما يمتلك اليابانيون تكنولوجيا منافسة دون علم أحد .. فهم قوم كتومون للغاية .. لكنى أشك فى ذلك ..

معى أعضاء الفريق .. كالتالى :

د. (سالم) : أنا .. (باختصار) صاحب فكرة المشروع البحثى وواضع أسس العمل به ، وخبير الفيزياء الحيوية لكل فرق العمل ومراحل المشروع ..

فردريك : خبير الوقود النانوى (النانوتكنولوجى) ومهندس معاملات الأمان

د. (فهيم) : خبير التصميمات الميكانيكية والنماذج

د. (سارة) : أستاذة الروبوت فى العالم (بلا منازع) ..

Looloo
www.looloolibrary.com

(دايمون) : المشرف الإلكترونى وخبير شاشات العرض

د. (ويلسون) : قائد الفريق الإنجليزى الذى يدعى أنه يعرف كل شىء ..

وغدًا اجتماع نهائى مع السيد مدير المركز ومندوب الملكة ، ثم بداية تجربة المشروع العلمى الهائل : (جهاز التحرك الزمنى) صاحب الاسم التجارى : (آلة الزمن) ..

4 ـ لغة كلاسيكية ..

يتحلق فريق العمل حول منضدة بيضاوية طويلة أمام شاشة عرض كبيرة ، مع مندوب الملكة ورجل مجهول الهوية يخفى وجهه خلف نظارة سوداء كبيرة من طراز قديم .. ويرأس الاجتماع مدير المركز البحثى شخصيًا .. بحيث يقف متحمسًا وشارحًا للفريق بكلمات علمية كمقدمة لمطالب الملكة المبجلة .. قائلاً :

ـ بعد التأكد من إمكانية معايشة الأحداث الماضية ، ولكن فى صورة طيفية بعد اصطيادها فى الفضاء .. وبعد التأكد من تفاصيل هذه الأحداث ، وأنها تحوى بالفعل كل الأجزاء ؛ لأن الأشعة الضوئية تنقل كل شىء حتى ما حدث فى الظلام ..

تنحنح (ويلسون) قائلاً :

ـ فى الواقع ، لا يوجد علميًا شىء اسمه الظلام ..

فاستطردت أنا بسرعة ..

ـ بالعكس ، هناك ظلام و ... ظلمات ..

Looloo
www.looloolibrary.com

لكن فى مجال الفضاء وعلى هيئة الأطياف بسرعة الضوء ستجد دائمًا شعاعًا ينقل لك الحدث حتى فى أحلك الظلمات ..

ويلسون :

ــ هذا ما قصدته ..

يتابع مدير المركز :

ــ لا أنوى مناقشة المصطلحات العلمية .. فهذا مجالكم بكل تأكيد ..

نحن ننتظر إعلان نجاح المشروع العلمى ليتم تكليفكم بالمهمة ..

ويلسون :

ــ أية مهمة .. ما المطلوب منا بعد نجاح المشروع ؟

وكأنها إشارة له أن يختصر وينتقل للمطلوب :

ــ المطلوب منكم هو العثور على مكان هذا الملف ..

ومعرفة هل وصل إليه الألمان أم لا ..

يتتابع عرض صور قديمة بالأبيض والأسود .. يتحرك أبطالها بسرعة .. فى حقبة تاريخية مضت ..

ــ أى ملف هذا ؟

ــ يحوى معلومات تخص أمن بريطانيا العظمى ..

ــ منذ هذا التاريخ ؟! وما فائدتها الآن ؟

وهنا يتدخــل مندوب الملكة متحدثًا بلغــة كلاسيكية هادئة ومستفزة :

ــ هى تمثل أسرارًا عليا تخص الإمبراطورية .. ويهمنا أن نعرف هل وصل الألمان لها .. وإن لم يفعلوا .. أين هى ؟

هذا المستر/ رودج .. الذى عمل فى خدمة الجيش الألمانى لكنه يدين بالولاء الكامل لإمبراطورية بريطانيا العظمى ..

هذا الرجل هو هدفكم .. لقد فقدنا الاتصال به تمامًا فى هذا التاريخ ..

أقطع كلامه متنحنحًا :

ــ إحمم إحمم ... أظن هــذا التكليف ســابق لأوانه .. إننا لا نعرف حتى الآن مــدى قدرتنا على التفاعل مع الأحداث الفائتة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

هل سنشاهد الفيلم من مقــاعد المتفرجين أم سنشترك فى الأحداث مع الأبطال ؟! .. أمر لن تحسمه إلا التجربة ..

اعتدل مدير المركز سائلاً باهتمام :

ــ وما الفارق ؟ .. الهدف هو معلومات واضحة عن ملف بحوزة شخص محدد ..

فأجبته بنفس الاهتمام ..

ــ الفــارق كبير .. فلو أننا أشباح طيفيــة ، تراقب الأحداث الماضية ؛ سنحتاج عشرات المحاولات لمعرفة معلومة واحدة ، ترد على لسان رودج هذا أو لا ترد ..

أكملت سارة :

ــ وستقتصر المهمة على مراقبة الشخصيات والأحداث ..

فأكملت :

ــ أما لو شاركنا فى الأحداث فيكفى أن أحوز ثقة رودج ثم أسأله مباشرة ..

المدير:

ــ فى جميع الأحوال أتعشم أن تنجحوا ..

وبالمناسبة ، أحب أن أقدم لكم : المستر/ (كيمان) حفيد (رودج)

وهنا تعلقت أعيننا جميعًا (بالرجل المفتاح) ..

متابعين بلهفة .. ما سيقوله ..

عن جده .. الفقيد ..

Looloo
www.looloolibrary.com

5 ـ الرجل المفتاح ..

بمجرد أن نطق مستر / كيمان .. سقطت الهيبة المصطنعة التى رسمها شكله المفتعل .. وظهر كرشه كبيرًا وهو يتحدث بسرعة ، كلمات مشتتة ، صاحبَها لهاث أحيانًا كأنه يجرى فى سباق طويل .. ليعكس قلقًا غير عادى ..

ـ جدى .. مثل هتلر تمامًا ..
أعنى .. يتشابه معه فى أشياء كثيرة ..
فكلاهما من أصل نمساوى ..
تعلمون أن النمسا .. ألمانيا .. بولندا ..
.. إمبراطورية ألمانيا العظمى(*) ..
هاه ..

تنمو حبات العرق على جبهته .. لو واصل هذا الشاب انفعاله سيصاب بنوبة قلبية ..

ـ مرتين ..
مرتين .. التقى فيهما جدى مع هتلر .. قبل أن يصعد نجمه ..

(*) انهارت الإمبراطورية الألمانية فى نهاية الحرب العالمية الأولى (1918م) وحلت محلها الجمهورية .

تعلمون أن عائلتنا تنحدر من أصل أرستقراطى مرتبط بإمبراطور ألمانيا العظمى مباشرة .. فأمى هى ابنة ...

وهنا قاطعه مدير المركز :

ـ إحم .. عذرًا مستر / كيمان ولكننا نتحدث الآن عن مستر / (رودج ..)

ـ آه .. عفوًا ..
لكن .. أنا أتحدث عنه ..
كانت والدة رودج مغرمة باللوحات الفنية اليدوية الصنع .. وتتعامل مع تاجر لوحات وتحف يهودى شهير ..
اشترت منه لوحة متوسطة الجودة .. أو تقليدية ..
أعنى أنها ليست لوحة غاية فى الإبداع ..
لكنها مع ذلك كلاسيكية .. جيدة ..

يمكنك أن تضعها فى برواز ضخم بصالة الاستقبال الواسعة .. الألوان متناسقة ، وبها درجات متعددة لتناسب كل ألوان الأثاث المحتملة .. تمتم فهيم :

ـ سيتحدث عن اللوحة إلى آخر اليوم ..

مدير المركز :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ فهمنا أنها لوحة جيدة .. ماذا عن مستر/ رودج ؟

ـ آه .. أنا أتحدث عن جدى .. أرجوك لا تقاطعنى ،، إعذرنى فأنا متوتر قليلاً ..

كانت اللوحة تحمل إمضاء واضحًا : هتلر ..

وحين طلبت الوالدة أن تقابل هذا الفنان الشاب ، رفض التاجر اليهودى ..

أعنى أنه تعذر بعدم إمكانية ذلك لأن الفنان ليست له مواعيد ثابتة ..

لكن جدى.. بالصدفة .. رآه فى الجاليرى الخاص بهذا التاجر وكان هذا أول لقاء .. تعارف .. وحين أخبره بسعر اللوحة ، سكت ولم يتعامل مع التاجر مرة أخرى ..

جدى كان متعاطفًا مع هتلر الذى يكبره بعدة سنوات ، لكنه علم فى اللقاء الثانى.. حين .. كان جدى ضابط اتصال وهتلر ـ رغم سنه الأكبر ـ جندى مراسلة ..

علم أن هتلر مر بظروف غاية فى الصعوبة ، لدرجة أنه بات أحيانًا فى مأوى المشردين ..

وأنه طلب التماسًا من الملك للالتحاق بالجيش بعد أن رفض طبيًا ..

طبعًا بخلاف جدى الذى تشفع له أسرته العريقة ، فيصبح ضابطًا فى سـلاح الإمداد .. لكنـه .. قلت لكم .. يشبه هتلر كثيرًا ..

يفضل العمل على الجبهة ..

وينتقل لفرع الاتصالات ..

فى اللقاء الثانى توطدت العلاقة بينهما ..

كان جدى / رودج يكن احترامًا حقيقيًا للجندى الفنان / هتلر الذى اكتسب خبرة عظيمة من عمله كجندى مراسلة على رأس جبهات القتال ، رغم الخطر الكبير لهذه الوظيفة ..

ولقد بادله هتلر هذه النظرة ..

وأثبت نجاحه فى اختيار رجاله ، لأنه بعد سنوات عين جدى بمدرسة الفرسان .. وجعله واحدًا من مستشاريه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أبتسم ساخرًا :

ــ آه .. واضــح أن هتلر كــان ناجحًا فى اختيار الرجال .. بدليل أنه عين الرجل الذى يدين بالولاء الكامل لإنجلترا كأحد مستشاريه ..

كيمان :

ــ بالفعل .. بعد الإطاحة بإمبراطور ألمانيا ... تعرفون .. آآه .. الــ ...

وهنا تدخل مندوب الملكة :

ــ ندرك ذلك يا مستر / كيمان ..

ونعلم مدى ولاء الراحل تمامًا لبريطانيا العظمى ..

وأنه بعد الحرب العالمية الثانية .. انتقلت أسرتكم الكريمة كلها إلينا ..

وحصلتم لا على الجنسية وفقط ..

وإنما على امتيازات عالية .. اعترافًا بفضل تعاونكم وخصوصًا ..

تعاون مستر رودج ..

كيمان : ــ آه .. صحيح .. صحيح ..

وكانت له اتصالات واسعة بالمقاومة ..

خصوصًا اليوجوسلافية ..

والفرنسية ..

لكنى لا أدرى كيف .. ومع من بالتحديد ..

يعلو صوت مدير المركز :

ــ يكفينا هذا القدر ..

والآن استريحوا جيدًا ..

فغدًا يوم حافل ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

6 ـ شكسبير ..

ـ لا معنى للمسافات الشاسعة والأجرام الهائلة ..

نطقها (دايمون) وكأنه حالم ..

فاستقبلتها أنا بضحكة قصيرة ..

وأغلقت (الآى باد) المفتوح على صفحة من (كفاحى) لهتلر ، وأنا ممتعض من تخيل أن فلسفة .. (ماكيافيللى) النفعية هى المرشد الروحى لخطوات الزعيم النازى ، لدرجة أنه كان يحتفظ بنسخة من كتاب (الأمير) أسفل وسادته ..

أكملت كلامه مبتسمًا ..

ـ أحبك يا ديمو .. حين تسرح بين النجوم .. كان الواجب أن تكون شاعرًا .. لا عالمًا فى هذا الفريق ..

ـ لو تركت نفسى للشعر لتفوقت على شكسبير ،

لكن عقلى يرفض أن أموت ..

وكل إنتاجى فى الحياة بضعة أشعار ..

ـ لن أناقشك فى أهمية الشعر والأدب لكن .. أتعرف .. هناك عالم كبير وصاحب مذهب فى الإسلام يدعى الإمام الشافعى ، قال شيئًا شبيهًا بكلامك ..

وترك الشعر تمامًا .. لكن .. حقيقة ..

ماذا قصدت بـ : لا معنى للمسافات والأجرام ..

معنى مجازى ، أم حقيقى ؟

ـ بل حقيقى تمامًا .. فحجم الجسيمات متناهية الصغر بالنسبة للخلية ..

ثم بالنسبة لجسمك البشرى ، يماثل تمامًا حجمك بالنسبة للمجموعة الشمسية ..

ثم بالنسبة لباقى المجرات ..

ـ فكرت فى هذا الموضوع من قبل ، وببساطة أقول لك : الإنسان هو مركز الكون ، هو الحالة الوسط فى الحجم والكتلة والتحرك الزمنى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

هو الثابت الذى تدور حوله كل العوالم ..

ــ هيييه .. ليس إلى هذا الحد .. تعلم مثلى أنه لا يوجد فى الكون ..

شىء ثابت ..

ابتسمتُ واثقًا وأنا أقول بهدوء :

ــ بلى .. هناك بكل تأكيد ..

هناك الإيمان .. يا صديقى ..

الإيمان هو الثابت الذى يملأ قلبى ويثبت أفكارى وإبداعاتى .. وإلا فلن تكون .. هناك بداية ثابتة ولا أرضية واضحة .. أضع منها افتراضاتى ..

تنهد ديمو :

ــ هممممممم .. الإيمان .. ربما .. لكنه وإن كان ثابتًا فهو .. يعمر قلبًا متغيرًا يا صديقى .. أليس كذلك ؟

ثم ماذا تعنى بالأرضية الثابتة ، والبداية الواضحة ..

ــ أعنى ببساطة أنى أؤمن بعدم جدوى محاولات زملائنا فى أقسام الطب الحيوى المتطور إعادة الحياة للموتى ..

لأنى أؤمن أن الموت حق على الجميع ..

ــ ومن قال إن الموت غير حق ؟!..

كل ما فى الأمر أن تعريف الموت نفسه غير واضح ..

هل يعنى توقف الأعضاء عن الحركة .. الموت ؟

تطور العلم فقال : بل توقف القلب ..

ثم تطور فقال : بل توقف جميع خلايا المخ هو الأساس ..

إلى أن أصبح : توقف جميع خلايا الجسم عن قدرتها على عمل التمثيل الغذائى (الميتابوليزم) .. ثم أصبح : عدم قدرة الخلية على الإنتاج الجينى ؛ بدليل أن الميت بعد ثوان من كهربته يعود قلبه للعمل .. الفكرة أنه لم يمت فعلاً ..

وهكذا .. من حكم على تلك الأجساد الراقدة فى المعمل أنها ميتة ؟ ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وعلى المستوى الخلوى ..

تعلم مثلى أن إعادة وظائف الخلية أمر سهل نفعله كل يوم ..

ـ معك حق .. أحيانًا تأتى بأمثلة جيدة يا ديمو .. إن لك عقلاً بارعًا ..

فى بعض الأوقات .. دعنا من الخلايا الميتة .. ما رأيك فى حركة الشمس ؟

ـ ما لها ؟

ـ تشرق الشمس علينا من الشرق كل يوم ..

أنا أؤمن أنها لن تشرق أبدًا من الغرب

إلا مع نهاية العالم ..

ـ لكن شروق وغروب الشمس مرتبط بحركة الأرض كما تعلم ..

وليس حركة الشمس ..

ـ لم نختلف .. أنا أؤمن أنه مـــن المستحيل تغييـــر حركة دوران الأرض ..

إلا فى نهاية العالم ..

ـ وما أدراك أن نهاية العالم .. ليست الآن ؟

ـ هناك أيضًا دلائل أؤمن بها لم تظهر حتى الآن .

ـ هل كل شىء يفسره إيمانك بهذه البساطة ؟!!

ـ هذا ما أعنيه بالضبط .. أن البعد الزمنى ساطع أمامى وغايات الأشياء مفهومة فى نظرى ..

والبدايات والنهايات واضحة .. لأنى إنسان مؤمن ..

أقف على أرض ثابتة وأجرب منها وأبدع وأستزيد علمًا وأحقق غاية خلقى ..

ـ وما هى ؟

ـ أن أكون خليفة الله فى الأرض .. أنا إنسان يحاول أن يملأ قلبَه الإيمان ..

ـ وقلبك رغم ذلك .. متغير .. غير ثابت ..

يا صديقى .....

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

7 ـ الأشعة المتراكبة ..

نمد الخطا فى الممر الواسع الذى يتفرع منه ممر ضيق ينتهى إلى مصعد ..

يكاد يسعنا نحن الثلاثة ، وأصرف نظرى بسرعة حين يرتطم بعيون سارة الواسعة ..

التى تلتمع بالذكاء والجمال ..

وأغير تفكيرى فأسأل (فردريك) :

ـ يوم حافل .. أليس كذلك ؟

ـ وهل هناك أهم من هذا اليوم ؟..

إما أن نثبت عمليًا كل ما استنتجناه وحللناه وقولبناه فى معادلات وتجارب صغيرة .. وإما أن يكون كله .. هراء ..

سارعت سارة :

ـ فشل تجربة اليوم ـ لو حدث ـ معناه أخطاء تكنيكية فى إنتاج جهاز الحركة ..

وليس خطأ فى النظرية ..

ابتسمتُ أنا متابعًا :

ـ والفشل هو طريقة أخرى غير صحيحة ، لمعرفة الطريقة الصحيحة .. أليس كذلك ؟

سـارة :

ـ هو ذاك ..

وانفتح الباب ودار المصعد حول محوره ..

كى ندلف إلى القاعة الكبيرة حيث يقبع جهاز التحرك الزمنى ..

داخل قبة زجاجية عالية وحوله العشرات من ذوى المعاطف البيضاء والصفراء والخضراء طبقًا لتصنيفهم الفنى ..

افترقنا .. حيث يقف كل منا على رأس فريق معين ،

بينما يتابع (دايمون) جميع الجالسين على الشاشات وقد سبقنا أيضًا ..

هو و د. (فهيم) الهندى الأصل الذى يدور حول الجهاز مثل الدبور المتوتر .. يتفحصه للمرة الألف ..

أصل إلى فريقى حيث نُخرج عينة الخلايا التى اخترناها بعناية ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وهى عبارة عن سنجاب برى معدل جينيًا ، بحيث يتحمل جسده درجات حرارة أعلى من الطبيعى ..

ويستطيع أن يدخل فى حالة صوم لعدة أيام ..

كما تم زرع مجموعة من الأجهزة الدقيقة والمعقدة ..

التى يبلغ حجم معظمها نانوميتر ؛ لمتابعة كل شىء داخل وخارج جسمه أثناء الرحلة ..

وقمة العبقرية كانت فى التحكم فى جهازه العصبى ، بحيث يقوم بالحركة التى نريدها نحن كأنه روبوت آلى قُدّ من لحم ودم ..

طبعًا بخلاف مجموعة متكاملة من الروبوتات غاية فى التطور تحت إشراف سارة ..

بينما وقف فردريك يراجع معاملات الأمان فى المكان ويضع لمساته الأخيرة ..

ثم دخل د. (ويلسون) الذى يشرف علينا جميعًا ..

وبلهجة جادة يحاول أن يخفى بها انفعاله ..

وقف خلف الحاجز الثنائى وأمام أجهزة الكمبيوتر صائحًا :

ــ هل الجميع جاهزون ؟؟

ولم يتلق ردًا .. لأننا كلنا كنا مشغولين جدًا فى الإعداد النهائى ..

فتنحنح .. ثم قال :

سارة .. ما تقييم الوضع عندك ؟

فى سرعة وكأنها تتوقع السؤال :

ــ جميع الروبوتات مطابقة للمواصفات الفنية التى اتفقنا عليها وتم شحن بطارياتهم الاحتياطية ونحن جاهزون ..

ثم أضافت هامسة :

ــ بعد اختبار التحميل النهائى ..

تابع فردريك دون أن يسأله أحد :

ــ ما زلت أرى أن وجود الأكسجين أثناء التجربة يحمل معامل خطورة .. غير بسيط ..

د. (ويلسون) :

ــ ألم ننته من مناقشة هذه النقطة ؟ ..

وماذا عن د. (سالم) ؟

أعتدل مواجهًا إياه :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ إن (جاكى) جاهزة منذ زمن وتشتاق للسفر حالاً ..

يسكت هنيهة ثم يبتسم د. (ويلسون) قائلاً :

ـ شكرًا على التسمية ..

وكنا قد اتفقنا على تسمية السنجاب (جاكى) على اسم ابنة (ويلسون) التى ماتت فى حادثة ..

أما د. (فهيم) فبعد أن كرر عليه (ويلسون) السؤال ، لم ينتبه أيضًا وهو يضغط على بضعة أزرار فى جهاز موصل إلى قاعدة جهاز التحرك الزمنى ، فنحترم جميعًا انهماكه فى الخطوات الأخيرة مع فريقه ، ثم يقطع صمتنا فجأة د. (فهيم) :

ـ تم التحقق من الجهاز ... لنبدأ ..

ابتسم فردريك :

ـ تم التحقق للمرة الألف يا فهيم ..

وفجأة حدث انفجار جزئى من أحد الروبوتات عند. (سارة) ؛ فامتقع وجه (ويلسون) ..

وبحدة أشار لها :

ـ ماذا يا سارة .. ألم تقولى تم التحقق ؟

فأجيب أنا بسرعة :

ـ إنها تحب وضع أحد نماذجها فى أقصى درجات الخطر ؛ لترى مدى قوة احتماله ..

ويلسون :

ـ أم لأنها تحب الألعاب النارية ..

ليست هذه المرة الأولى التى ينفجر فيها أحد نماذجك ..

وأنا أعلم تمامًا أنه عن قصد ..

سارة ببراءة :

ـ كله لمصلحة المشروع .. د. (ويلسون) .. أنا الآن جاهزة بالفعل ..

يتنهد د. (ويلسون) كمن يخرج حنقه فى زفرة طويلة .. ثم يشير بيديه وقد هدأ تمامًا ..

كأنه ساحر يقف أمام كهنته :

ـ هيا ... لنبدأ العرض ..

وأشار بيده ..

علامة البدء ....

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

8 ـ جـاكى ..

تقدمت حاملاً (جاكى) فى هدوء لأضعها داخل جهاز التحرك الزمنى الذى سينطلق الآن بسرعة أكبر من الضوء عبر تقنية الأشعة المتراكبة ..

الجميع يتطلع للسنجاب الصغير بتحفز غير عادى ..

أعود لمراقبة الشاشات واكثر ما يهمنى تلك التى ترسم صورة مجسمة حرارية لجاكى وتنقل المعدلات الحيوية بانتظام ..

* * *

وهنا ينفتح الباب الرئيسى ليدلف مندوب الملكة فى تجاوز مستفز لقواعد العمل .. وعينه تحمل لهفة الدنيا ،،

يقترب منى مندوب الملكة ، فألمح نظرة غاضبة سريعة على ملامح د. (ويلسون) ..

ـ نملة تسير على قبعة رجل يسير داخل قطار ..
ما هى سرعة النملة ؟

بدأت شرحى سريعًا بهذا السؤال لمندوب الملكة الذى عجز عن منع فضوله ، وسألنى عن فكرة عمل الجهاز .. وهو يتابع التجربة الأولى لإرسال كائن حى بسرعة أكبر من الضوء ..

ـ تساوى سرعة القطار + سرعة الرجل + سرعتها هى أى أن النملة هنا أسرع من القطار ..

هذه ببساطة فكرة عمل الجهاز .. نحن نكثف ونركب الأشعة بحيث تنزلق فوق بعضها فنحصل على سرعات فائقة للأشعة الفوقية تزيد سرعتها على سرعة الضوء أضعافًا مضاعفة .. حسب عدد الأشعة المتراكبة ..

ـ وكيف تلتقط صورة الماضى ؟!!

ـ حين تصل لنقطة معينة نحددها نحن ـ حسب التاريخ المطلوب ـ تتباطأ لتساوى سرعة الضوء ثم نبدأ فى التقاط الأشعة الضوئية الصادرة من الأرض والسابحة فى فراغ الكون عند هذه النقطة لننقل بكل التفاصيل ما حدث على سطح الأرض فى هذا الوقت ..

وفجأة اختفت صورة جاكى من الشاشات .. وراح (دايمون) ينقر بسرعــة أزرار الشاشة الرئيســية .. معطيًا أوامر سريعة لفريقه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ويتدخل المندوب بعصبية مفتعلة قائلاً :

ـ ما هذا ؟ أين صورة السنجاب .. ماذا حدث له ؟

أشير له بحدة قائلاً :

ـ تستطيع سيادتك أن تستريح وتراقب كيفما شئت .. لكن هناك .. خلف هذا الحاجز الزجاجى ..

أنطق بالكلمات فى شىء من الفظاظة .. مشيرًا للرجل أن يبتعد عن غرفة العمليات الرئيسية فليس هذا وقت مجاملة المندوب ..

وأتطلع باهتمام لكل البيانات التى تنقلها الأجهزة المزروعة (بجاكى) ..

ثم أهتف :

ـ لقد حدث الاحتمال الثانى .. لم يتحمل جسد جاكى سرعة الضوء .. بعد تعديلات قسم الخلية الحيوى ..

نطق المندوب من خلف الحاجز بصوت عالٍ :

ـ هل فشلت التجربة ؟

نتجاهله جميعًا وأنا أحاول إعادة الجهاز مرة أخرى ..

لكن د. (ويلس) يهرول ناحية المندوب قائلاً :

ـ كان هذا احتمالاً واردًا .. ونحن مستعدون له ..

ـ هل ستكرر التجربة ؟

ـ بالطبع .. سيدى ..

ـ ولكن أين جهاز التراكب هذا ؟

ـ آه .. إنه ينطلق فى الفضاء الآن بسرعته الفائقة .. أو ...

ـ أو .. ماذا .. بروفسير (وليسون) ؟

أجيب أنا بصوت عالٍ .

ـ أو إنه انفجر .. لقد انقطعت كل الاتصالات ..

ـ يجدر بكم أن تعملوا أفضل من هذا ...

نظرت إليه بحدة قائلاً بصوت صارم :

ـ أفضل من هذا ؟؟.. من أنت لتملى علينا العمل ؟!!.. ثم من سمح لك من البداية حضور يوم تجريبى ؟!!..

يتدخل د. (ويلسون) .. مرتبكًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ أعتذر عن دعوتى لك .. قبل التأكد من النتيجة ..

أما المندوب فقد واصل مغضبًا :

ــ سيصل جلالة الملكة تقريرى .. الذى يفيد بالفشل فشل التجربة ..

يعود د. (ويلسون) بعد أن رافق المندوب للخارج قائلاً فى عصبية :

ــ استعجلنا فى تحديد الموعـد .. واستضفنا الرجـل ليشهد فشلنا ..

ــ لا لم نستعجل .. وكلنا نعلم النتائج المحتملة وماذا سنصنع حيال أى نتيجة ..

أما استضافة هـذا الرجـل فأنت من فعـل . دون الرجوع إلينا ..

واصل د. (ويلسون) عصبيته المشبوبة بلمسة حزن وكأنه لم يسمع شيئًا ..

ــ ثم ماتت جاكى ... ماتت للمرة الثانية ..

أحول الحوار مشيرًا إلى سارة :

ــ نحتاج المزيد مـن الصفات المدمجة لتحتمل الخلية الحالة الموجية وتعود كما كانت بسلام ..

ومشيرًا إلى (فردريك) :

ــ يجب أن نضـمن عـودة الجهـاز .. بعـد إطـلاقه .. ولو اضطررنا لربطه بحبل ..

وإلى (دايمون) :

ــ لماذا لا نستخدم العرض الرباعى لصور المراقبة ... هذه الألياف قديمة مقارنة بما تنتجُه تكنولوجيا (النانو) .. نحتاج لمزيد من التواصل مع هذا القسم ..

يتنهد (فهيم) :

ــ نحتاج لمزيد من التواصل مع كل الأقسام .. أنا حزين على النماذج العبقرية التى ضاعت مع هذا الجهاز ..

(سارة) فى تفاؤل :

ــ لم يضـع شىء .... أنا شخصيًا أكثـر حماسة لتجربة أخرى ..

(فردريك) هاتفًا بلهجة منتصرة :

ــ حبل .. أنت عبقرى يا (سالم) .. فعلاً هذا ما نحتاجه بالتحديد .. حبل ..

Looloo
www.looloolibrary.com

9 ـ الحبل ... تجربة أخرى ..

ـ كان تعبيرك حتى لو ربطناه بحبل موحيًا بحفنة من الأفكار العبقرية ..

ـ آه .. أخجلتمونى ..

ـ إن فكرة عمل قاعدة ممغنطة فائقة الجذب تشترك فى انطلاق الأشعة المتراكبة وبالتالى ينجذب لها الجهاز عند عودته بسهولة كأنه مربوط بحبل للقاعدة .. لهى فكرة رائعة .

ـ أما فكرة فصل الخلايا قبل انطلاقها .. فهى قمة العبقرية ..

ـ صحيح .. هنا .. فى هذه الحضانة .. سيستقر ما تبقى من جاكى 2 .. و طاقتها الموجية ستسافر بسهولة ..

ـ وكأنها مربوطة بحضانتها بحبل أيضًا ..

ـ ممتاز يا شباب .. هيا نبدأ مرة أخرى ..

* * *

وبعد مرور عدة أيام ..

أحمل جاكى 2 مثـل طفلتى التى لم أنجبهـا وأضعها بحرص شديد فى الحضانة الموصلة بجهاز الأشعة المتراكبة ..

وبمجرد انطلاق الجهـاز منزلقًا على الأشـعة المتراكبة تقفز الشاشات المعدلة لتعج بالبيانات ..

ولم تختف صورتها .. هذه المرة ..

لكن بعد عودتها .. كانت حالتها الصحية غير مبشرة ..

ـ ثمة جروح خطيـرة ونزيف داخلى وعطب كبيـر بمعظم أعضاء السنجاب الداخلية .. هذا أمر غير مبشر ..

ـ لكنها عادت ..

ـ جاكى 2 عادت .. هنيئًا لكم جميعًا

ـ الصور التى سجلتها عكست بالفعل أحداثًا منذ عشرة أعوام لقد رأت جاكى الماضى ...

لكن هذه الإصابات ..

ـ ما زلنا لا ندرى هل السبب هو التحول للهيئة الموجية .. أم أن المسافر يتفاعل مع الأحداث فى الزمن الكونى وأن هذه إصابات ناتجة عن هذا التفاعل ..

ـ كأن تتعارك مع سنجاب آخر ..

ـ مثلاً .. أو تصدمها سيارة ..

ـ وسيحسم الأمر أن نجرب ..

نجرب بأنفسنا ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

10 ـ عزيزى (سوتيه) ..

أجرى وسط الطلقات النارية الكثيفة وأستتر بأول حائط مهدوم ..

وأنا أجر يد (سارة) وأنظر لجسمها كله كى أتأكد أنها لم تصب ، وفى تلقائية ..

آمرها أن نقفـز سويًا داخل نفـق يفصل عدة مبانى مهدمة ونجرى داخله .

والانفجارات تعلو من خلفنا ..

ثم أجلس على الأرض الرطبة بعد أن ابتعدنا قليلاً عن مرمى القذف ..

ومحتمين بحوائط النفـق الأسمنتية على أرض مـن البلاط المجعد ، ونقطة مياه تسيل بانتظام فى الظلام كى تبقى الوقت متوترًا ...

فأنظر لملابسى العسكرية والمدفع الآلى فى يدى ..

والمنظار وباقى الأشياء بتعجب وأرفع عينى فى ذهول إلى سارة متسائلاً ...

كى تبادرنى هى قبل أن أسأل :

ـ آه .. ليس مرة أخرى .... ليس الآن ..

ـ ما هذا ؟!! .. ما هو الذى : ليس الآن ؟..

ـ لقد نجح عملنا يا (سالم) .. نجحت التجربة أخيرًا .. نحن الآن الإثبات الحى لإمكانية الانتقال الزمنى وهذه أعراض الانتقال عندك ..

فقد فُجائى فى ذاكرة الأحداث القريبة..

ـ أتعنين أن السفر عبر الزمن .. قد نجح ؟

ـ عبر الزمكان .. أجـل .. هـذه بؤرة غير مستقرة على الحدود الفرنسية .. نحن فى الحرب العالمية الثانية

ـ إننا بالفعـل نعيش الحرب العالمية الثانية الآن ؟!.. هل وصلنا إلى (رودج ؟) .. هل حصلنا على الملف ؟

ـ هاه .. فى كـل مـرة سأقص عليـك الحكاية كاملة .. لا يا (سالم) ..

لسنا فى الماضى .. ولم نصل لأحد حتى الآن ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ ولكن ما هذه الحرب .. وكل هذه الأشياء كأتى وسط فيلم تسجيلى قديم .. أو ...

ـ مهلاً يا (سالم) .. إن الحالة الموجية لأجسامنا هى التى سافرت عبر الزمكان ..

ـ تعنين أننا الآن منطلقون فى الفضاء نسافر بسرعة الضوء ؟

ـ فى البداية .. ثم سرنا بمعدل أكبر من سرعة الضوء ..

حتى حصلنا على ترددات هذا الزمان والمكان المنطلقة هائمة فى الفضاء ، فوقفنا بها ..

ـ تعنين أبطأنا سرعتنا كى تساوى سرعتها ..

ـ بالضبط وبمجرد حدوث ذلك .. يكون الأمر ممتعًا وواقعيًا ..

لدرجة أننا بالفعل نعيش الحرب العالمية ..

ـ وأجسامنا الحقيقية .. أين هى .. ؟

ـ فى المعمل .

ـ أين ؟

ـ لقد نسيت الكثير يا (سالم) .. أجسامنا بعد فصل الهيئة الموجية لها ..

تظل حفنة من الخلايا غير المرتبة ..

لا يوجد وصف علمى متعارف عليه لها ..

وبالتالى أطلقنا عليها الحالة (ألفا) ..

ـ لا أستسيغ التسمية ..

ـ قلت هذا من قبل ..

ـ وما شكلها ؟!

ـ مجرد خلايا متطايرة خاملة .. تسبح فى غازات حافظة ..

ـ وحجمها ؟

ـ فى حضانات بحجمك الطبيعى ، مع أنها تأخذ حجمًا أقل ..

لكن هذا فقط من أجل عملية الإرجاع ..

ـ وهل سافر الفريق كله ؟

ـ كلنا ما عدا (ويلسون) ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ جيد .. لابد من حلقة وصل فاهمة على الأرض ..

ـ والآن .. هل سنقضى الليل كله نتذاكر ما حدث .. أم سنجد عشاء

ونبيت فى الدفء .. ؟

ـ يجب أن أعالج هذا الموضوع .. كيف تتصلون بـ (ويلسون) ؟

تقول سارة فى نفاد صبر :

ـ نفس الكلمات والسؤال ..

لقد عالجت بالفعل يا د. ((سالم)) هذا الموضوع ..

ووصلت لتركيبة اتزان الدماغ فى الحالة الموجية ..

لكن المشكلة أنك الوحيد القادر على تصنيعها ..

وأن الاتصال بويلسون يتم مرة كل عام ..

ـ كل عام ؟؟!! .. كم لنا من الوقت هنا ؟

ـ 11 شهرًا .

ـ أروع شىء أن التفاعل مع الأحداث ممكن ..

ولماذا لا يمكننا الاتصال بالقاعدة إلا مرة كل عام ؟

ـ عام بالنسبة لنا .. أما بالنسبة لهم فكما تعلم ..

ـ آه .. تعنين أن الفرق الموجى الضئيل بين أصغر إشارة اتصال والتى تليها .. حين يعبر حاجز سرعة الضوء ، يصل لعام ..

ـ بالضبط ..

ـ لكن الإشارة المستقبلة ستكون فردية ليس لها معنى ..

ولا يمكن وضعها فى هيئة اتصال مباشر ..

أفكر بصوت عال :

ـ أظن بإمكانى أن أضبط هذه المشكلة ..

لو قمت بتسريع النبضات وتكثيفها بحيث تنطلق منزلقة على ..

Looloo
www.looloolibrary.com

سارة مع تنهيدة :

ــ لقد قمت بالفعل يا (سالم) ..

ــ ماذا ؟

ــ نعم .. وانتهى الموضوع منذ عام ..

على أن يتم الاتصال بعد هذه المدة فى حالة الطوارئ ..

ــ الطوارئ !!.. تعنين أن هناك حلاً بديلاً ؟ ..

ولا أنتظر إجابتها .. وإنما أتابع بحماس :

ــ بالطبع .. دائمًا هناك حل بديل ..

لماذا ننتظر الإشارة من الأرض .. ؟!

لماذا لا نبادر نحن بإرسالها .. ونستغل جسيمات الفضاء كمرايا عاكسة بحيث ..

تساعد على تسريع الموجات الصادرة والواردة ..

ما رأيك فى هذه الفكرة يا سارة ؟

ــ عبقرية يا (سالم) .. ولقد قمت بتنفيذها فعلاً ..

وصممنا معًا جهاز العكس المتسارع لاستخدامه هنا ..

ــ ثم ..

ــ ثم دمرته القوات الألمانية كما ترى .. فى القصف العشوائى الأخير ..

ــ أتعشم فى أن أعيد تصليحه .. أو حتى تصنيعه ..

نظرت سارة إلى بدهشة هذه المرة قائلة :

ــ فعلاً ؟

ــ ولِمَ لا ؟ .. ألم أنطق بهذه العبارة من قبل ؟..

ــ لا .. وإنما قلت : هذا قدرنا .. أن نظل هذه المدة فى هذا الزمن بهيئتنا الموجية ..

ــ مهلاً .. لكنها واقعية تمامًا ..

ــ طبعًا .. لأنهم أيضًا بالهيئة الموجية كما تعلم ..

ــ ثم ؟ ..

ــ ثم مرت الشهور وكان لنا دور كبير فى أحداث المقاومة .. ألا تذكر ما فعلت ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لا شيء البتة .. يا عزيزتى ..

ــ المهم أنك باختصار .. رمز من رموز المقاومة الآن ..

ــ أنا ؟ .. واو ... هذا شيء طريف ..

ــ لا يا (سالم) .. ليس طريفًا .. إذا عرفت أن صورتك مع كل جندى ألمانى .. وأن الفوهلر شخصيًا يريد رقبتك ..

ــ واو .. مزيد من الإثارة ..

ــ ربما .. لكنك تعلم أننا لم نعرف تأثير الإصابات على صورتنا المادية ..

ــ تعنين .. لو أصبنا هنا ، فماذا سيحدث لخلايانا المحفوظة على الأرض ؟

ــ نعم .. وبالتالى نحن نحاذر بشدة من أية إصابة ..

أنهض حاملاً المدفع فى يدى وأتطلع للسماء اللامعة بابتسامة قوية .. قائلاً :

ــ يبدو أن هذا الزمن سيروق لى .. سيروق لى كثيرًا ..

بالمناسبة .. كم مرة فقدت الذاكرة خلال الــ 11 شهرًا ؟

ــ مرتين ..

ــ والمدة بينهما ؟

ــ متساوية ..

ــ إذن .. لا احتمال أن أفقدها .. ثانية .. لكن ماذا عنك ؟ .. والآخرين ؟

ــ أنا .. تفقد عينى اليسرى الرؤية تمامًا .. عدة مرات ..

ــ والباقون ؟

ــ (دايمون) .. يصاب بشلل كلى يحدث على فترات بعيدة مثلك ..

أما فهيم ..

ــ وفهيم أيضًا ؟ .. وتركنا القاعدة لــ (ويلسون) فقط ؟

ــ نعم .. (ويلسون) يتابع القاعدة وحده ..

ألم أقل هذا منذ قليل ..

ــ أتمنى ألا ينام كثيرًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

هزت سارة رأسها علامة الإيجاب قائلة :

ــ بالضبط .. هذا ما يعانيه الآن .. فهيم ..

فهو يسقط فى نوبات نوم طويلة تمتد ليومين ..

حدث هذا منه عشرات المرات

ــ آه .. هذا شيء سيئ .. وماذا عن فردريك العزيز ؟

ــ فردريك .. لم نعرف حتى الآن .. ربما كان شيء فى أعضائه الداخلية لا تظهر له أعراض ..

ــ أو أنها لم تظهر حتى الآن ..

هل وصلنا لرودج .. هذا ؟

ــ لا ..

ــ ماذا ؟ كل هذه المدة ولم نصل له ؟

ــ تأكدنا أنه فى الجستابو .. وبدأنا فى خطة استعادة رودج ..

ــ لن أسألك كيف .. سأتذكر وحدى ..

ــ تذكر براحتك يا عزيزى .. (سوتيه) ..

ــ من (سوتيه) هذا !!!

ــ أنت يا (سالم) .. سوتيه .. بطل المقاومة الفرنسية ..

ــ (سوتيه) !!.. من اختار هذا الاسم .. أشعر أنى طبق حساء .. وأنت ما اسمك ؟

ــ أنا سارة .. إنه لا يحتاج لتغيير ..

ــ لا بأس ..

والآن .. يا عزيزتى ..

أين مقر المقاومة ؟ إنى أتوق شوقًا لقتال العدو .. هاها ..

ــ كل مرة تبدأ بهذا المرح .. ثم يتلاشى مع أول جثة تنفجر أمام وجهك ..

ــ ماذا ؟ .. وهل هناك جثة ستنفجر أمام وجهى ؟

ــ هناك الكثير .. يا (سالم) ..

لا تتعجل .. هناك الكثير ...

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

11 ـ الطُّعم ..

فى الحجرة السرية القابعة تحت الأنفاق أسفل مجارى الأمطار ، يتحلق حول المنضدة : فردريك و(دايمون) ..

بينما يغط فهيم فى نوم عميق ..

فردريك :

ـ هل كان من المناسب أن نوافقهم ؟

(دايمون) :

ـ ولِمَ لا ؟

ـ ألا ترى (فهيم) يغط فى نومه ، منذ أكثر من يومين ؟

ـ إذن حان وقت إيقاظه .. فهيم .. فهيم ..

ويهزه (دايمون) هزًّا عنيفًا .. فيستيقظ فهيم مفزوعًا .. ليصيح :

ـ هل قبض علينا الجستابو ؟

يبتسم فردريك فى مرارة :

ـ ليس بعد ..

فهيم :

ـ آه .. لقد أفزعتمونى ...

(دايمون) :

ـ الفزع جيد لك يا (فهيم) .. صدقنى .. بعض من الفزع مفيد جدًا فى وضعنا هذا ..

يفرك فردريك يديه متأففًا :

ـ ما زلت لا أستسيغ نظرية الطُّعم .. هذه ..

يشيح (دايمون) برأسه جانبًا وهو يقول :

ـ بصراحة .. هى نظرية ممتازة .. لكن يعيبها يا شباب .. أمر واحد فقط ..

ثم نظر بعينيه مواجهًا فردريك وقائلاً بصوت بارد :

ـ يعيبها .... أن تكون أنت الطعم ..

يا صديقى ..

أن تكون أنت الطعم .....

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

12 ـ النبيـذ الفـاخر ..

أسير وسط الركام والظلام يعم الشوارع .. لولا ضوء القمر غير المكتمل ؛ لاستحال السير وسط هذا الحطام ..

لكن هذا لا يمنع صوت انفجار بعيد أو طلقة نارية عابرة

أو رائحة دخان كثيف ..

طبعًا ثمة الكثير من الأجساد المتناثرة دون آهة ألم واحدة ..

حين أمر على هذا العدد الكبير من الجثث ..

أبدأ فى الانتقال من الحالة النفسية السعيدة جدًا بنجاح التجربة والمتشوقة لرؤية المزيد ، إلى حالة من القنوط على ذلك الإنسان الهمجى الذى قتل فى حرب واحدة عشرات الملايين ..

أرى أن أفرض وصاية على عقول هؤلاء الذين يصنعون قرارات الحرب(*) ..

(*) حقيقة .. حيث بلغ عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية فى العالم كله أكثر من 60 مليون شخص مدنى وعسكرى ..

يشربون النبيـذ الفـاخر ، ويبيتون فى أحضـان الراقصـات العالميات ويشيرون بأصابعهم ..

علامة الهجوم ؛ كى يتساقط الآلاف من المدنيين والعسكريين ..

فقط لأجل رغبة هذا المريض ، وحقًا إذا قتلت واحدًا فأنت مجرم ..

وإذا قتلت عشرة فأنت سفاح ..

أما إذا قتلت ألفًا فأنت بطل مغوار و زعيم خالد ..

أخرجتنى من أفكارى هرة مذعورة .. مرت بسرعة تحت قدمى ، واختفت لتوها .. فى ركام أحد المبانى ، بينما أجفلت (سارة) ، فتطلعت لوجهها تحت ضوء القمر .. لأجده يلتمع كأن القمر يتلمس أشعته من وجه سارة .. أصرف بصرى بحركة خاطفة ..

لأن حجابها بدا رقيقا جدًا كغلاف من الحرير يحيط أجمل لؤلؤة فى الكون ..

وهى تبتسم فى حرارة ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

أشير إلى مضخة مياه كبيرة قائلاً :

ـ أعتقد أنى بدأت أتذكر .. هنا المدخل .. أليس كذلك ..

وصلنا للمضخة الكبيرة فركعت ورفعت غطاء معدنيًا ثقيلاً .. ومن ثم نزلت سارة على سلالم تقود لأسفل وتبعتها كى نسير فى ممر ضـيق مظلم تمامًا .. يقودنا إلى مجـارى الأمطـار التى أضاءت قليلاً بانعكاس ضوء القمر من الفتحات القليلة للصرف ، ثم وقفنا عند باب معين و طرقنا بطريقة محفوظة بيننا .. ففتح من فى الداخل ،

وكانت المفاجأة ..

* * *

13 ـ الجســتابـو ..

أشعر بحيوية كبيرة ونشاط فى عقلى لا يحدث إلا حين أكون منغمسًا فى العمل .. داخل معملى الحبيب .

بدأت الإشارات تنشط والمشاهد تتابع فى رأسى ببطء ..

أولاً منذ أن كنت أصعد خطوات السلم المتهالك مع سارة ..

حتى نزلت إلى النفق الضيق وسط مجارى الأمطار ..

فتعود لى الذاكرة بحيوية ويسر كومضات قوية تلمع فى ذهنى ؛ لأتذكر فجأة .. التجربة الأولى وعدم القدرة على السيطرة على الجهاز .

وإعادة التجربة ..

ثم مشاهد من الحرب ، وأنا أقف أخطب أمام عدد غير قليل ..

وأحثهم على الثبات وأرتدى نفس ملابسهم كأنى واحد منهم ..

ومحاولات الفريق المميتة لجمع أكبر قـدر من المعلومات يمكننا من الاتصال برودج أو الوصول لملفه .. إلى أن كانت

Looloo
www.looloolibrary.com

المعلومة الأكيدة أن الرجل أضحى أسيرًا بمقر البوليس السرى الألمانى (الجستابو) ..

ثم الغرفة الشبه مظلمة التى نجتمع فيها لنقرر الخطوة التالية ..

ولدهشتى لم تكن الغرفة مظلمة حين انفتح الباب ..

كان الضوء قويًا جدًا .. اشترك مع الومضات فى دماغى كى تعود الذاكرة كلها مرة واحدة ..

وقبل أن أحاول لا إراديًا جذب ذراع سارة لننطلق مبتعدين صائحًا : فخ .. اجر يا سارة ..

يكون عدد كبير من الجنود قد أطبق علينا وجرونا جرًا داخل الحجرة ..

حيث زملاؤنا مسلسلون ..

ورجـل أشيب فى الزى النـازى .. يعطينا ظهره ، ويستدير ببطء وعلى وجهه أمقت ابتسامة تشف على سطح الأرض ،

وعلى أنفه يستقر حامل نظارة بعين واحدة ..

لكن كل هذا لم يثر دهشتى .. بقدر شكل هذا الرجل ..

الذى جعلنى أهتف تلقائيًا :

ــ ويلسون .. ؟

لكنه لا يلتفت لهتافى ، وإنما يجلس على الكرسى رافعًا أقدامه على المنضدة ، ضاغطًا بأسنانه على السيجار الكبير ويتحدث كأنه يخاطب سقف الحجرة :

ــ هل هناك سحرٌ خاص لهذه الغرفة ؟ .. المظلمة القذرة تحت المجارى ..

نطقها بالألمانية .. ولدهشتى فهمت كل كلمة ، كأنى ألمانى الأصل ..

كانت سارة تنقل بصرها بين القائد الألمانى .. وبينى .. حين لاحظت دهشتى .. فتهمس:

ــ جهاز الدمج اللغوى ..

لأتذكر على الفـور التقنية التى ابتكرناها لزرع أية لغـة حية أو ميتة ، على منطقة الحفظ بالمخ فى عدة دقائق ، وتذكرت أيضًا أنى زرعت مجموعة من المهارات القتالية ، وخصوصًا أن حالتنا الموجية تستقبل وتطبق بسهولة كل هذه المدخلات بخلاف

Looloo
www.looloolibrary.com

حالتنا المادية الكاملة على الأرض .. التى ربما كان تحميل كل هذا على مخها عبئًا له آثار ضارة ..

أخرجنى من ذكرياتى صياح القائد الألمانى :

ــ سكووووت ..

حين أتحدث ، لا يجرؤ أحد على الكلام ..

مفهووووم ...

وكأنه خرج من هدوئه الحالم ، تابع فى انفعال :

ــ أنتم أيها الجرذان القذرة .. تحبون النوم فى هذه الحجرة العفنة .. وتخرجون بالليل .. تمامًا مثل الجرذان .. تظنون أن هراءكم هذا سيوقف جحافل الفوهلر ؟

أنتم أشقياء وأغبياء ..

أنتم مجرد جرذان ..

يمسك المنضدة بيديه :

ــ ما هذه ؟.. قاعة الاجتماعات ؟

ويلتقط ورقة من الأرض بعنف :

ــ وما هذه ؟ خطط التحكم والدفاعات ؟

ثم يمسك ملعقة وشوكة :

ــ وهذه .. هى أسلحتك المتطورة .. ؟

أنتم أغبياء ..

الموت لكم جميعًا .. ، ويحيا الفوهلر .. هايل هتلر ..

وبمجرد ذكر اسمه .. يقوم جميع العساكر بتأدية التحية بآلية موحدة ..

ــ هيا .. خذوهم جميعًا ..

أريدهم فى مقر الجستابو ..

وتعمد أن ينطق الكلمة الأخيرة بهدوء ، متطلعًا لعيوننا ..

ــ الجستابو ...

أراكم هناك بعد قليل ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

14 ـ الخطـوة الأخيـرة ..

ينطلق د. (ويلسون) فى الممر المؤدى إلى المعمل الكبير ..

وخلفـه يهرول عـدد مـن المساعدين ، ثم يدلف بسرعـة إلى قاعة المعمـل الكبيـرة ومنها إلى باب جانبى يفضى إلى غرفة كبيرة بها خمس حضانات كبيرة موصلة بأسلاك وأجهزة معقدة ..

واللون الأحمر يضىء ويطفئ .. بصحبة صوت مزعج جدًا .. ويهتف (ويلسون) :

ـ أين تقرير فريق المتابعة ؟

فيجيب أحد الواقفين :

ـ هنـاك حالة من عـدم الاستقرار فى حركة الخلايا العائمة للأجساد الخمسة يا سيدى ..

ويلسون :

ـ أطفئوا هذا الصوت اللعين ..

يسكت الصوت تمامًا وتظل الإشارة الحمراء ..

ويلسون :

ـ أووه .. واللون الأحمر الغبى كذلك ..

فينطفئ اللون الأحمر ويعود الضوء الساطع للحجرة ،

ـ مُعامل الخطورة زائد على الخلايا الآن .. وربما يحدث أى تغيير بيولوجى فى أية لحظة ..

ويلسون :

ـ أفهم يا فرناندو .. أفهم جيدًا معنى عدم استقرار الخلية ..

قد تمرض الآن وتضعف جدرانها وكأنها تشيخ ..

وقد تتأثر نواتها فتنفصل وتتكاثر وكأنها تكبر وتلد ..

تابع المساعد / فرناندو فى صوت خافت :

ـ وقد تهلك تمامًا ... وتموت ..

ويبـدو أن (ويلسون) لم يسمع الكلمة الأخيرة لأنه ببرود حازم يأمر الباقين :

ـ أعطونى تركيزات غازات ومحاليل الحفظ ومعدلات الحرارة ..

ينظر للأرقام ثم يأمرهم :

ـ هيا زودوا تركيز الغاز وامنحوهم برودة أكبر ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم يكرر النظر ويتابع ..

ــ يكفى .. والآن راجعوا جميع الحسابات .. سنصلح الوضع فورًا ..

* * *

وبعد برهة من الوقــت فى مكتبــه وهو مستغرق فى التفكير برقعة الشطرنج أمامه ، يدلف إليه شخص متأنق بشدة ، ويعرف نفسه ..

ــ المندوب العلمى الجديد لجلالة الملكة المبجلة ...

ــ أهلاً .. أهلاً .. تفضل سيدى ..

ــ وصلنا تقرير يفيد أن هناك حالة عدم استقرار لخلايا العلماء المحفوظة .. نحن قلقون جدًا بهذا الشأن سير/ (ويلسون) ..

تبهت الابتسامة وتصطبغ كلمات (ويلسون) بالطريقة العملية فى الكلام :

ــ لا شىء .. مجرد نشاط مفاجئ بدأ ،

وتم السيطرة عليه فانتهى فى غضون لحظات ..

ــ لكن السبب .. هل تعلمون السبب ؟

لم يستسغ (ويلسون) طريقة المندوب الجديد وكأنه يستجوبه لكنه مضطر للإجابة فقال باقتضاب :

بالطبع .. إنه عطل أصاب احدى دوائر الحرارة ..

ــ وماذا عن الدوائر الاحتياطية ؟

وهنا تنحنح د. (ويلسون) .. واضح أن المندوب يصعب إقناعه ..

لكنه بروح العناد داخله حدق فى عوينات المندوب السميكة وفى اعتداد أجاب :

ــ هناك تفاصيل تقنية كثيرة لا ترتبط بالحرارة فقط ، تشمل تدفق الطاقة نفسه والحالة الانسجامية بين الخلايا ومحلول الحفظ .. ثمة تغيرات طفيفة ..

أفاضت لهذا التسارع .. لا بسبب تقصير فى المتابعة ولكن بسبب عدم استقرار الخلايا نفسها .. وكلها أمور متوقعة ..

ــ لا بأس .. لكننا لا نحب تكرار هذا التسارع ..

وننتظر بالطبع تقريرا مفصلا عن رودج وملفه بمجرد وصول الفريق ..

ــ آه .. طبعًا .. طبعًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم وقف ، وقبل أن ينصرف ، استدار للد/ويلسون :

ـ بالمناسبة ..

تحب الملكة أن تعرف أن أوقات زيارتك للمعمل .. أكبر قليلاً من نصف ساعة فى اليوم يا .. سير / (ويلسون) ..

وابتسم مشيرًا بقبعته ..

ـ شكرًا يا عزيزى .. ،

وهنا امتقع وجه (ويلسون) وجلس على الكرسى كأنه يقع عليه ..

ـ .... آه هناك جواسيس .. ينقلون تفاصيل عملنا خطوة بخطوة لجلالة الملكة ..

لا بأس ... لا بأس يا سيدتى ...

ثم تلتمع عيناه :

ـ فلينقلوا إليك .. هذه الخطوة ...

وتمتد يده لرقعة الشطرنج ..

بالخطوة الأخيرة ..

* * *

15 ـ أيـن أدواتى !!!

مع أن حجرة اجتماعنا السرية التى انكشف أمرها صغيرة وشبه مظلمة وتقبع تحت المجارى ، إلا أنها نظيفة ..

ولا أبالغ لوقلت إن رائحتها عطرية ،

يمكنك أن تمدد جسدك وتنام فى أى مكان دون الخوف من حشرات أو مياه متسربة ..

إنها نظيفة جدًا ..

بعكس هذه الغرفة الواسعة جدًا ذات الإضاءة القوية بمركز الاستجوابات النازى الرهيب (الجستابو) ..

نقف نحن الخمسة فى أزياء عسكرية ما عدا فهيم ، مقيدين بإحكام لحواجز خشبية ثقيلة مثبتة بالحائط..

وأمامنا منضدة طويلة عليها آثار دماء متجلط ..

ثمة سلاسل وأسلحة بيضاء موزعة على الحائط وفى أركان الحجرة بعدم انتظام ..

لكن أسوأ شىء هو الرائحة النتنة التى تملؤها ..

Looloo
www.looloolibrary.com

يصعب علىَّ تصديق أن الوضع برمته حالة موجية .. مرت فى الماضى وأننا نعيش انتقال صورتها عبر الفضاء فى صورة موجية أيضًا ..

ذلك أن حواسى كلها تعمل بدقة ، والرائحة الموجية أيضًا تظهر نتنة بشدة ، حتى أن فردريك أفرغ ما فى بطنه الآن ..

وفى نفس اللحظة انفتح الباب المعدنى الثقيل ،

ودخل ضابط شاب يتبعه عسكريان ..

ولم يقفلوا الباب ..

وإنما اقتربوا ليواجهونا ،

مشى الضابط أمامنا بخطوات ثقيلة وهو يتفحصنا ثم ..

صاح بعنف مفاجئ :

ــ أريد كل المعلومات ..

كلها .... كلها ...

كدت أن أضحك من طريقته .. وكلامه غير الواضح ..

إنه لم يحدد أية معلومات .. ولا عـن أى شىء .. فقـط .. كلها ..

ويبدو أن انفعالى كان واضحًا .. لأنه التفت إلىَّ هاتفًا :

ــ آه .. أنت أشجعهم .. أنت المتماسك المبتسم ..

رغم وجودك داخل قبو مظلم فى الجستابو ...

وهنا لم أتمالك نفسى .. هذا الرجل غير دقيق إطلاقًا ، فقلت ببساطة :

ــ لكن الإضاءة تكاد تعمينا كلنا ..

كى يبتسم زملائى ويجن جنون الرجل ..

ــ سأرى ابتساماتكم هذه حين تعرضون على أدواتى ..

وهتف بقوة :

ــ أين أدواتى .. ؟؟

فجرى العسكريان بسرعة وأحضرا بضعة أشياء فوق منضدة عليها مفرش بنى احمرت أجزاء كثيرة منه .. وبسرعة وضعوها جانب المنضدة الأولى ..

وهنا لم أملك نفسى أن قلت :

ــ ألم تعقم هذه الأدوات قبل أن تحضرها ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

فنظر إلىَّ ببلاهة لوهلة ، ثم انفجر فىَّ صائحًا :

ــ سترى الآن .. أفضل وسائل التعقيم ..

الساذج .. لا يعلم أنى أمتلك مهارات فرقة من جستابهم ..

وبسرعة رفعت قدمى لأطوق بها عنق هذا المتعجرف ..

وأجذبه إلىَّ بشـدة .. وأرفعـه عن الأرض لتصل يدى إلى مسدسه العتيق ، من طراز (والتر بى بى) ..

كى يجد نفسه فى لحظة .. أصبح أسيرًا لى ، رغم قيودى المحكمة ..

وقبل أن يحاول الخلاص كانت ساقى تلتف حوله بإحكام ، وأصوب فوهة مسدسه من يدى المقيدة تجـاه رأسه مباشرة ؛ فيرتعش جسده انفعالاً ..

ويهتف بالعساكر الذين صوبوا أسلحتهم لى ووقفوا مذهولين

ــ .. لا تضربوا ...

فأمرتهم أنا :

ــ هيا .. أحضر هذه المفاتيح وفك القيود .. هيا ، وإلا فجرت رأس قائدك ..

لكنهم تجمدوا بغباء .. ، فصاح بهم الضابط ، بعد أن لكزته بالمسدس :

ــ نفذوا أوامره .. فكوهم حالا ..

وبمجرد أن انفك قيد (سارة) ، أخذت دون أن آمرها القيود ووضعتها بسرعة فى رسغ الضابط مع عساكره ، بحركة دائرية ، بحيث التصقوا ظهورهم لبعض ..

أخذنا أسلحتهم وهرعنا خلال الباب المفتوح ..

وأغلقناه خلفنا ...

* * *

طبعًا كنت قد نزعت ملابس الضابط وارتديتها وكذلك فعل فردريك و(دايمون) ..

ومن ثم سرنا أمام أول جندى حراسة ، واقف على باب أحد الضباط كالتمثال ..

لم ينظر إلينا وإنما رفع يده بالتحية عند مرورى ؛ فبادلته بسرعة ثم دخلنا أول غرفة وأحكمنا قفل الباب ..

هتف فهيم :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ أووووه .. هذه إثارة مبالغ فيها ..

أما فردريك فقال :

ــ الخطة .. الآن وبسرعة أيها الزعيم ..

وإلا أفرغت ما فى بطنى ..

فأنا متوتر للغاية ..

أعجبتنى كلمة الزعيم .. فابتسمت قائلاً :

ــ وهل بقى شىء فى بطنك يا حبيبى بعد أن أفرغتها كلها هناك ؟ ..

أما (دايمون) فقد وقف ثابتًا عند الباب ، بإشارة منى كى يسمع أية خطوات تقترب .

وسارة فى سرعة قالت :

ــ أية خطة ؟ ... ألم نعد لهذا الموقف منذ البداية ؟!

البداية .. فجرت هذه الكلمة ما تبقى فى رأسى من فقد ذاكرة ، وكأن ذاكرة الأشهر الفضائية الأخيرة عادت كلها مرة واحدة ..

وجدتنى أهتف بفرح :

ــ نعم ... نعم ..

أذكر الآن كل شىء ..

لقد أعددنا كل ذلك ..

حين عجزنا عن اقتحام الجستابو ..

وبعد تنفيذ عدة ضربات قوية واقتحامات غاية فى الجرأة كبدت النازى خسائر فادحة ..

كانت ضربتنا الموجعـــة الأكبـــر ، هى أن نفجـــر الجستابو نفسه ..

إننا بذلك نضرب سمعته فى العالم كله ..

ونذهب هيبته من قلوب الناس ..

ســـارة :

ــ ونصل لرودج .. المحتجز ..

ــ وبدا الأمر مستحيلاً .. لولا أن فكرت بهدوء ، لماذا نسعى إلى اقتحامه ؟..

لماذا لا نوفر المجهود وندعهم يقودوننا إلى داخله ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وبالفعل تركنا أدلة تقـود لأحد فروع المقـاومة فى الحجرة السرية أسفل الأمطار ..

وفعلاً وصلوا إلينا واحتجزونا كما أردنا ..

لم يقاطعنى أحد ، وكأنهم جربوا مثل هذا الموقف ، وينتظرون أن أكمل أنا الآن الخطة ..

فهيم :

ـ ثم ماذا .. ما هى خطوتنا التالية ؟

أكرر أنا بنوع من البلاهة :

ـ ما هى خطوتنا التالية ؟

فيهتف فردريك بصوت مبحوح :

ـ ألم تقل إن الذاكرة عادت إليك .. ما هى الخطوة التالية ..

أما سارة فقد تكلمت بهدوء ..

ـ كلنا يعرف دوره .. ألم نوزع الأدوار مع (سالم) قبل أن يفقد ذاكرته ؟

فهيم :

ـ لكن فى ظل هذه المستجدات .. ماذا سنفعل ؟

وهنا سألت أنا بحذر :

ـ أية مستجدات ؟!

فأجابت سارة :

ـ لم يكن من المفترض أن يتم القبض على فهيم أيضًا ..

لكنه دخل فى نوبة نوم وكان من المستحيل تركه وحده فى أى مكان ..

كما أن فردريك قرر الانضمام فى اللحظة الأخيرة خوفًا من نوبة شلل ..

ـ ما هذا ؟ نوم .. و شلل .. هل أعمل مع حفنة من المعاقين ؟

أمالت سارة رأسها فى حدة وكأنها تريد أن تقول :

ـ نعم يا حبيبى ..

وماذا عنك .. أنت الذى تفقد عقلك كله وتصدعنا بإعادة الذاكرة ..

لكنها قالت :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لكل منا كوبته .. يا جوادنا الأصيل ..

تنحنحت قائلاً :

ـ لا بأس .. فى ظل هذه المستجدات ...

لكن سارة قاطعتنى :

ـ ليست المشكلة كما تعلم فى وجود عدد زائد منا داخل الجستابو ..

ـ فيم إذن ؟

ـ ألا تذكر ؟؟

ـ يجب أن تركز .. إن نسيانك سيضيف .....

وواصلوا الهمهمة المعترضة ..

فاستفزنى كلامهم لأقصى حد ..

وفى ثوانٍ كنت أعيد ترتيب الأحداث .. وأتذكر ..

أتذكر كل شىء ..

* * *

16 ـ القط العجوز ..

دكتور (ويلسون) داخل المعمل .. منهمك فى إعطاء أوامره للجميع ..

ثم يقف أمام حضانة كبيرة تشبه الخمس الأخريات ..

ويضبط الجهاز على سرعة معينة ليصل بحالته الموجية إلى ما قبل زمن الحرب العالمية الثانية بخمسة عشر عامًا ..

يخرج صورة من جيبه لقائد نازى قريب منه فى الملامح .. لكنه أكبر سنا وينظر لها فى فخر قائلاً :

ـ جدى العزيز ..

لقد حان الوقت لتبادل الأدوار ..

هنا .. أو فى فضاء الأمواج الزمنية ..

ويشير إلى الحضانات الأخرى ..

ـ لن أدع هؤلاء الأطفال .. يذهبون بكل المديح ..

وأنا أراقب هنا مثل القط العجوز ...

لا إن الكعكة ستكون من نصيبى ...

Looloo
www.looloolibrary.com

وينظر بعينه لأعلى .. وإذا كنت يا جلالة الملكة تريدين أن أظل وقتًا أطول فى المعمل ..

فأعدك أن أظل به أطول وقت ..

أطول وقت ممكن ...

* * *

فى الحجرة شديدة الفخامة رغم مساحتها غير الكبيرة ، يقف القائد (ويلسون) أمام الفوهلر شخصيًا ، وسط مجموعة من كبار القادة ، يستمع للكلام بتركيز وهو يدير بيد واحدة قلمًا ذهبيًا ..

ـ ما فعلتموه اليوم .. أمر جيد ..

وأنت يا ويلس ... احصل على جميع المعلومات منهم ..

ثم ينفعل ويقبض بيده على القلم بقوة :

ـ ثم أعدمهم بعد محاكمة عادلة ... أمام الجميع ..

يجب أن يكونوا عبرة للجميع ...

* * *

يخرج القادة ويسبقهم ويلس وهو يبتسم فى ثقة ..

ـ تعتقد أنه شرف كبير أن أقف أمامك ..

من أنـت .. سـوى سفاح .. أمرت بالقتل المباشر لآلاف المدنيين وأحرقت جثث القتلى .. وكانت حجتك دائمًا .. المجد لألمانيا ولأجل عيون الجنس الآرى ..

لقد نجحتُ أخيرًا بعد 15 عامًا من احتمال الحياة النازية القاسية والآن أحتل هذا الوضع المتميز .. أشعر أن هذا فعلاً هو زمنى الحقيقى ..

تبًا للمعامل ولحفنة الأوغاد ..

كنت أعلم بحساباتى أنهم سيصلون فى هذه السنة ..

وسيجدون مفاجأة كبيرة فى انتظارهم ..

لسوف أقضى عليهم ..

وأعيش ملكًا ها هنا ..

واذا عدت بعـد ذلك فأنا أيضًا البطـل الوحيد المتبقى من المشروع العلمى .. أنا الفائز فى جميع الأحوال ..

أما الفوهلر ..

يا له من أحمق كبير ..

خطوة أخيرة واحتل مكانك أيها المتغطرس ..

Looloo
www.looloolibrary.com

لا تعلم أنك ستفشل وتنمحى ذكرى النازى تمامًا ..

لكن أنا .. سـأظل على رأس هـذا العالم .. سأقلب أحداث التاريخ الموجى ..

وسوف يعلم الجميع .. من هو سير / (ويلسون) ..

كان اسمه هو الكلمة الوحيدة التى نطقها بصوت مسموع فالتفت إليه القادة ورمقوه بنظرات تعجب وحدَّة فتجاهلهم جميعًا .

ودلف إلى الرواق المؤدى إلى غرفة التعذيب الرئيسية ..

ليرى الضابط وجنوده مقيدين بإحكام ..

فيهتف بصوت عالٍ ..

ـ طوارئ ..

ليعلو صوت صفارات الإنذار ..

ويهرول الجميع للا هدف ..

ويشتعل الجستابو ...

من الداخل ...

* * *

17 ـ صفارات الإنـذار ..

أشعر بمتعة كبيرة وأنا أهرول بخطوات رشيقة فى أروقة الجستابو وأتعامل بسرعة كبيرة مع كل جندى أقابله ..

(فردريك) يصيح :

ـ لماذا لا تقتلهم ؟ إنهم فى الحالة الموجية ..

ويتفادى أحدهم ويضربه بسلاحه بقوة ..

ـ مجرد أطياف .. تسبح فى الكون المترامى .. لا ضرر من قتلهم ..

ويساعدنى فى جذب أحدهم ويحاول خنقه ..

لكنى أمنعه وأكتفى بضربة تفقده الوعى قائلاً :

ـ أخاف على نفسى أن أستسيغ عملية القتل .. ولو أنهم فى حالتهم الموجية هذه يشعرون مثلى ومثلك فأنا لا أحب أن أعذبهم ..

هيا هذا مكتب الاتصالات ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أشير بيدى فيدخل (دايمون) و(فهيم) .. ليحصلان على الأجهزة المطلوبة ..

وسمعنا طلقات كثيرة .. بمجرد دخولهما المكتب ..

فردريك :

ــ يبدو أن (ديمو) لا يؤمن بنظريتك

(دايمون) :

ــ قل هذا لموجاتك حين تخترق الرصاصات جسدك ..

صاحت سارة لما رأت درج الطوارئ :

ــ يجب أن نهبط ثلاثة طوابق ..

منهم واحد تحت الأرض ..

وفى نفس اللحظة دوت صفارات الإنذار ..

وبالفعل نهبط الدرج بسرعة وفى دقة نتجه إلى غرفة معلومة ..

بعد التعامل مع الحارسين ..

أصيح :

ــ هذه الغرفة هى هدفنا منذ البداية .. هيا كل يعرف دوره ..

وحين نقتحم المكان .. ورغم معرفتنا بطبيعة العمل داخلها ..

إلا أننا لا نملك أنفسنا نحن الثلاثة ..

من شهقة ملتاعة ..

لقد أثبت ما رأيناه صدق ما قيل عن تجارب النازى ..

كان المشهد أمامنا رهيبًا ..

وامتعضت وجوهنا جميعًا ...

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

18 ـ القطع البشرية ..

كانت المعلومات لدينا أكيدة عن امتلاكهم لتكنولوجيا متفوقة ،

ونجاحهم فى عمل سلاح سرى يهدد به هتلر العالم كل يوم ..

وقيامهم بتجارب عجيبة على الأسرى ، لكن الوصف الأمثل أنها تجارب شنيعة ..

العشرات من طاولات الفحص ، ترقد فوقها القطع البشرية ..

وحولهم العديد من ذوى المعاطف الملوثة ..

أجل .. القطع ..

لأن أغلبها كانت أجزاء .. لكنها ليست مفردة كذراع أوساق أو حتى رأس ..

كما يراها طلبة الطب فى مشرحتهم ..

وإنما مجتمعة ..

ثمة أجهزة متناثرة حول القطع البشرية غريبة الشكل .. إذ ترى ببساطة رأسين فوق رقبة أو ذراعين مكان الأرجل أو عدة أذرع وعدة أقدام ..

هذه محاولات دمج الخلية البشرية بجزيئات صلبة لتحسين صفات القوة والاحتمال لديها ،

مثل هذه التجارب تحتاج لتقنية متطورة جدًا ..

وتحتاج أيضًا لانحطاط أخلاقى ؛ يؤهلهم لمعاملة الإنسان الحى بهذه الصورة ..

إنها محاولات النازى المريضة لإنتاج الإنسان الخارق ..

طبعًا كان هدفنا من الوصول لهذه الغرفة بالتحديد ..

إنقاذ من يمكن إنقاذه ، وعلى رأسهم رودج ..

وصفع النازى بقوة من هذا المكان ..

ثم والأهم الحصول على باقى المعدات اللازمة ..

لإعادة تصنيعها وإعادتنا إلى الأرض .. فى الزمكان ..

وهكذا حين رفع ذوى المعاطف الملوثة رءوسهم نحونا كان فردريك يصيبهم فى مقتل ، فرفعت سلاحه لأعلى وصحت به : لا تفعل .. قد نحتاج العلماء ..

أما سارة فقد عالجت الجنود الثلاثة المدهوشين بطلقات سريعة فى الأقدام واستسلم ذوو المعاطف بسهولة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

توجهت بسرعة إلى الأجهزة المتناثرة ..

أوه .. إنها حقًا متطورة بشدة بالنسبة لهذا الزمن ..

ثمة أجهزة تعتمد على شرائح إلكترونية ، أعلم من التاريخ أنها لم تخترع فى هذا الزمن ..

لكن النازى وصل إليها ..

يبدو أنه كان على حق فى تهديداته ..

بهذه التقنيات يستطيع أن ينتج أسلحة رهيبة .. ،

كان العالَم على حق حين اتحد ضد هتلر..،

ــ هيا يا سارة مارسى ألعابك المفضلة .

أما أنت يا فير.. ساعدنى هنا ..

وبمهارة فائقة .. أثارت دهشة العلماء ، حتى أنهم تطلعوا برءوسهم ..

فى شغف علمى لمعرفة ما نصنع ..

قمنا بفك مجموعة معينــة من الأجهــزة فى حقيبــة لحفظ الجثث ..

أما سارة فبنشاط قامت بتحميل زائد للأجهزة مع فصل وتجميع بعض الوصلات ، لإحداث أكبر انفجار ممكن ..

أما أنا فاتجهت للعلماء صائحًا فى صرامة :

ــ أين باقى الأسرى ؟

وحين لم أتلقَ ردًا .. استقرت رصاصتى فى قدم أكبرهم ..

فتلوى من الألم وأشار بسرعة إلى الحائط المصمت ..

أمرته فورًا أن يفتحه ؛ فذهب أحدهم لذراع يكاد لا يظهر وضغطه وهو يقول :

ــ هر / خوماشر برنشتاين ..

فأرفع حاجبى إعجابًا ..

لقد توصلوا إلى بصمة الصوت ..

لكن انكشاف الحائط أظهر وراءه مأساة ..

مأساة حقيقية ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

19 ـ (رودج) ..

المئات من الأسرى راقدون خلف قضبان سميكة ـ ترتفع عن الأرض مترين أو أكثر ـ شبه أموات

لكن وللأمانة .. كلهم تقريبًا يرتدون بقايا .. أزياء عسكرية ..

لا أرى بينهم مدنيًا واحدًا ..

هتفت سارة :

ـ أنا جاهزة ..

أشرت إلى الحائط الشمالى :

ـ هذا ..

فأجابت سارة برأسها أن :

ـ نعم .. التفجير جاهز ..

وبتهديد من فردريك .. دخـل مجموعة من العلمـاء لإطلاق سراح الأسرى ..

الذين كانوا فى حالة ذهول مطلق ..

مثل ضحايا محاكم التفتيش فى سراديب كنائس أسبانيا ..

امتدت يدى لتحرر أول أسير/ مصاب ، ولدهشتى أجده يهتف فرحًا :

ـ البطل سوتيه ..

إنه البطل سوتيه .. يا شباب ..

فابتسم فى وجهه واقبض على يده مشجعًا ..

ـ بل .. أنت البطل يا صديقى ..

ثم راحت عينى تبحث بشغف فى كل الوجوه عن (رودج) ..

ولما لم أجده وسط القادرين على المشى ..

بحثت بسرعة فى الراقدين ينئون أو يستغيثون أو مفتوحى الأفواه كالموتى ..

لأجد (رودج) فى هيئة مزرية جدًا ، يرقد شبه ميت . فأحمله وأسرع للمجموعة ..

ووسط الضجة اعتلى صوتى :

ـ أين (فهيم) و (دايمون) ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

لماذا لم ينجزا مهمتهما حتى الآن ؟

وهنا تجمد المشهد إثر صوت عالٍ لقائد ألمانى يهتف بصرامة :

ــ تعنى هذين أيها الجاسوس ؟

ويدفع بحــدة فهيم من كتفــه فيخطو للأمام كى لا يقع هو وديمو ..

وقد أحاط بهما مجموعة جنود ..

يسدون مدخل الغرفة الواسع ..

ويصوِّبون مدافعهم إلى الجميع ..

إلى الجميع بلا استثناء ..

* * *

20 ــ معى ربى ..

التقت عينى بعين القائد الألمانى فى تحدٍّ واضح ،

والذى حملت ملامحه سير (ويلسون) لكنها أكثر تجعدا ..

وتحمل نظرته الكثير والكثير من الحقد ..

همس فردريك :

ــ وماذا الآن يا زعيم ؟

فأجبت بلهجة واثقة دون تفكير وعينى ثابتة على (ويلسون) :

ــ « إن معى ربى سيهدين »

وهنا ضجت ضحكة القائد الألمانى مجلجلة وهو يتحرك بين المناضد ..

ــ آه .. أنت تؤمن بهذه التراهات ..

معى ربى ..

هاهاها .. معى ربى .. هاهاه

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم يعتدل فجأة بوجه غاضب ليواجهنا :

ـ أرنى ماذا سيفعل ربك الآن ؟

لأنى أنا ... من سيصنع قدرك ..

بل أقدار العالم كله ...

اقتلوهم .. اقتلوهم فورًا ، لا أريد أحدًا منهم على قيد الحياة ،

وكأن الجنود فى انتظار هذا الأمر فبمجرد قول كلمة اقتلوهم ..

انطلق سيل من الرصاصات تجاهنا ..

وسقطت الأجساد ...

سقطت الكثير من الأجساد .. الميتة ...

* * *

إن معى ربى سيهدين .. حقًا :

حقًا .. أردت بسرعة أن أتفادى الرصاص ..

وأحمى سارة وألتقط سلاحا وأرد الهجوم ..

عمل عقلى بسرعة ...

بإمكانى أن أقفز برشاقة وآخذ القائد الألمانى رهينة وأنا أمتلك هذه المرونة ..

أو بإمكانى أن أستتر بالعلماء وأشغل جهاز الغاز الكيماوى .. أو أو ...

كل هذه الأفكار وكلمة اقتلوهم لم تنته من فم القائد بعد ..

لكن .. كان قدرنا جميعًا أن يحدث شىء آخر ...

لم نتوقعه كلنا ..

لقد انطلق الأسرى المحررون بسرعة وعنف يتلقون الرصاص ..

ويحموننا ببسالة ..

ـ احموا الزعيم (سوتيه) ..

ـ كلنا فداءك ..

فمنهم من تلقى الرصاص بصدره .. فمات للحظته ..

ومنهم من احتمى بالمناضد واقترب أكثر ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ومنهم من استتر بالعلماء وهجم ..

وهكذا تلاحموا وكانت الغلبة بالطبع للأكثر ...

ووجدنا القائد شبه محمول وقد جُرد من السلاح ولم يبق معه سوى جندى واحد حى ، لكن وقع أقدام المزيد من الجنود وصل إلينا ..

أحمل (رودج) على كتفى حملاً .. وأجرى ناحية سارة ..

ستكون مذبحة ...

بكل المقاييس ..

* * *

21 ـ الحائط الشمالى ..

ـ الآن يا سارة .. الآن ..

صحت بالعبارة كى تضغط سارة أزرار التحميل وتنفجر الأجهزة بعنف يطيح بالحائط الشمالى كله ..

فيعلو صياح الأسرى وينطلقوا بسرعة قبل أن يستوعب حراس الأبراج الحدث ..

فيردوهم قتلى مستخدمين أسلحة جنود. (ويلسون) ...

وأشير إلى الطاولات الطويلة فيحملونها معهم كى نستخدمها فى تسلق السور وننجح جميعًا فى الهروب بعد أن ضجت خلفنا عدة انفجارات أخرى ..

جعلت الناحية الشمالية من الجستابو شعلة حقيقية ..

أروع شىء أن الفوهلر شخصيًا موجود داخل الجستابو ..

ستكون فضيحة عالمية ..

وسترفع من روح المقاومة بشدة ..

طبعًا سينكر النازيون حدوث ذلك ، بل ويسخرون من القصة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

لكن هذا العـدد الكبير من شـهود العيان ، سيضمن للحادثة مكانًا فى التاريخ ..

قامت المقاومة بتدمير الحائط الشمالى من معتقل الجستابو العتيد ، وحررت جميع الأسرى الأحياء بداخله ..

أتخيل الآن شكل الفوهلر وهو يرتعش غضبًا ..

ويكيل جزاءاته لقواده ، ويأمر بإحضارنا جميعًا ..

أحياء أو أموات ..

أخطأ قادتك حين عزلوا هذا العدد الكبير من الأسرى داخل مبنى واحد ..

لقد عبروا معنا الحائط وذهب آخرون فى عمليات شبه انتحارية للسيطرة على عربات الجستابو وعمل حائط أمام البوابة الرئيسية بعد تفجيرها ..

منع القوات من مطاردتنا لعدة دقائق ..

ثم انفصل عنا مجموعة من المتطوعين ..

كى يكمنوا لأسراب الجنود التى ستطاردنا ..

وفعلاً كانت جهودهم ناجحة وكفلت لنا الوقت الكافى للابتعاد الآمن متفرقين فى جميع الاتجاهات ..

أما سارة العزيزة ، فقد عادت أعراض العمى لها ..

فأكاد أحتضنها وأنا أقودها بسرعة وسط الطرق مع باقى الفريق ..

مشتركين فى حمـل (رودج) الذى ينن فى ضـعف وكأنه سيفارق الحياة ..

تتشبث سارة بذراعى فأهدئها :

ـ الخوف شعور طبيعى .. والشجاعة هى القدرة على التحكم فى الخوف وعدم إظهاره ..

ـ كيف تتحكم فى خوفك يا (سالم) ؟

كل مرة أسألك نفس السؤال .. وتجيب علىَّ بإجابة واحدة ... مما يجعلنى أصدقك ..

لماذا لا تخاف يا (سالم) مثل الآخرين ؟

وأنا أعرف الإجابة ..

ـ أخشى أن تتغير إجابتى هذه المرة فتفقدى ثقتك فىَّ ..

ـ لا يا (سالم) .. أنا متأكدة أنهـا نفس الإجابة .. لكنى أحبها ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أحب أن أسمعها منك .. هيا ذكرنى .. لماذا ؟

ــ لأنى يا سارة رجل مؤمن ..

أومن أن الله معى .. يؤيدنى فى كل خطواتى ، وأنه خلق الملائكة التى ستقبض روحى وتتكفل بعدة أمور فى حياتى ..

يقابلنا سلم عريض تهدمت أطرافه فنصعد عليه درجة .. درجة ..

ــ وأن هناك منهج واضح أنزله الله ،

فلا أتردد فى الطرقات والمناهج والفلسفات ..

أرتفع معها عدة درجات ويظهر القمر أكثر لمعانا .. وتظهر القافلة الصغيرة خلفى كسرب من النمل الذى يحفظ طريقه ..

ــ وأنه يجب أن أعمل كى أكون مثل الرسل ..

من خلال هذا المنهج وعلى رأسهم نبينا محمد (ص)

نبتعد عن الحطام وتظهر الأشجار اللامعة تحت ضوء القمر والتى تحيط حديقة واسعة ..

ــ وهناك يوم آخر .. تنتظرنى فيه الجنة ..

جنة الله ..

نسير وسط الحديقة ونشعر بالمياه الباردة تتدفق حول أحذيتنا ؛ فتدغدغ أقدامنا ..

كأنها وسيلة تدليك رائعة ...

ــ أما النقطة الأخيرة والتى تميزنى بالفعل هى ...

تكمل سارة :

ــ هى الإيمان بالقضاء والقدر ..

أنك مهما عملت وقهرت الأسباب وسعيت بجد واجتهاد ، فهناك قدر كتبه الله لك لن تحيد عنه .. وهو دائمًا الخير لك وإن بدا عكس ذلك ..

ما أحلى كلامك يا (سالم) ..

ما أحلاه وأرقه على النفس ..

ثم نواصل الهرب مستخدمين عربات أعددناها مسبقًا لنصل بعد 5 ساعات من المجهود الشاق ..

إلى أقرب مقر ... آمن ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

22 ـ لا قــرار له ..

فيلا واسعة فى حى لم تصل إليه القنابل بعد ..

يميزها وجود غطاء كثيف من الأشجار حول المبنى مما يجعلها صعبة الرصد بالطيران ..

راديو ألمانى ثقيل لا ينصت لأصواته الخافتة المتقطعة أحد ، موضوع على منضدة لشخص

واحد هو ..

(رودج) العزيز .. الذى بدأ يستعيد طاقته متدثرا بالكنزة الصوفية الثقيلة ، يقترب بشدة من نار المدفأة ويشرب بنهم الحساء بالليمون ، مستندا بمرفقيه على المنضدة الخشبية الصغيرة ..

ـ هذا الحساء .. جيد .. سيدتى .. جيد للغاية ..

ولا ينتظر رد (سارة) ..

ـ الجنود الألمان مظلومون .. تعرفون أن أنوفهم تسقط الآن .. من البــرد فى مواجهــة السوفيتيين .. الوقــود يتجمــد داخل المدرعات .. ليس لديهم الخبرة اللازمة للتعامل مع هذا البرد ..

هو متعاطف الآن مع الجنود الألمان !! ؛ هذا الرجل بئر .. لا قرار له ..

ماذا لو علم أن السوفيت سيطلقون النار من دباباتهم على المتظاهرين السلميين فى قلب برلين بعد ذلك(*) !!

ثم إنه .. تنحنح كالمعتذر ؛ حين لاحظ تطلعنا جميعًا له فى صمت وشغف ؛ فبادرته أنا قائلاً :

ـ أعتذر ولكنا قضينا وقتًا طويلاً ، وبذلنا جهدا لا تتخيله .. كى نصل إليك ..

ـ أعلم .. وأقدر كل مجهوداتكم .. إن بريطانيا العظمى لا تترك أبناءها الأوفياء أبدًا ..

أبتسم ..

ـ بالفعل .. اعذرنا إن كنا متعجلين لمعرفة المزيد عنك .. و ...

(*) حقيقة .. تظاهر الآلاف من الألمان بعد ذلك (سنة 1953) اعتراضًا على السياسات السوفيتية المسيطرة على ألمانيا الشرقية آنذاك .. فأرسل السوفيت دباباتهم ومدرعاتهم لقمع المتظاهرين ومن ضمنها دبابة T-34

Looloo
www.looloolibrary.com

أتردد لحظة ثم أواصل :

ـ وعن الملف ..

يملأ (رودج) صدره بنفس يخرجه ببطء تاركًا طبق الحساء الفارغ ومشيحًا بوجهه عن المنضدة ..

النيران ترسم له صورة ظل متراقصة ، مضحكة على جدار الغرفة الدافئة .. لكنها لا تعبر عن ملامح الرجل ؛ التى حملت معاناة الدهر وباحترام وشغف ، سكتنا جميعًا ؛ لنسمع الحكاية ، ولكن ليس من الحفيد هذه المرة ، وإنما .. من (رودج) نفسه ..

الذى بدأ فى .. الحكى ..

23 ـ الخنـــدق ..

يهدأ صوت الراديو وكأنه يستعد هو الآخر لسماع رودج .. لكنه يفاجئنا باللحن الشهير وصوت (مارلينا ديتريتش) تغنى :

(خذ حذرك .. من النساء .. الشقراوات)

لكن رودج لا يلتفت لها ،

وتطغى كآبة رودج على بهجة اللحن الذى طالما رقص على ألحانه الشباب الألمان المتحمسون ..

فيكمل بصوت متهدج :

ـ أتدرون يا رفاق .. معنى كلمة .. خندق !!!

نطقها رودج وعينه مفتوحة شبه دامعة ، لا تتناسب مع نبرة صوته الحانقة ..

ويواصل :

ـ حين لا تتسع لك الأرض المنبسطة على المدى .. ولا تتسع لك المدن والحدائق ، ولا حتى البحار ..

Looloo
www.looloolibrary.com

حين تضطر أن تحفر فى الأرض وتنزل تحت مستوى سطحها ؛ فقط كى تحافظ على حياتك ..

صعب جدًا أن تحارب ..

والأصعب أن تكون فى فرقة استطلاع أمامية ..

تكون أول من يحتل الأرض ..

ثم يأتى أمر القيادة بعدم التقدم ، أو التقهقر ..

يأتى الأمر بالتمركز ..

ساعتها تأمر جنودك بالحفر ..

كنت أراقب أنواعًا عديدة من الحشرات ، وأحسدها على هذه القدرة الرهيبة فى الحفر ..

لو أننا نمتلك هذه القدرة لحفرنا كل الخنادق فى ثوانٍ معدودة ..

اتسعت عيناه وهو ينظر إلى أرض الغرفة كأنه يرى الجنود وهم يحفرون الآن ..

طبعًا لم نجرؤ أن نقاطعه ، واحترمنا مشاعره فسكتنا متابعين .. إلا (فهيم) ، الذى بدأ فى تركيب التوصيلات التى أحضرها من غرفة الاتصالات بالجستابو ؛ لإعادة تشغيل جهاز العودة ..

ويواصل (رودج) :

ــ تشعر بالأمان النسبى وأنت بين جدارى الخندق ، لكن .. هل جربت النوم داخل خندق من قبل .. !!

فاجأنى بالسؤال لأجيب :

ــ لا .. لكنى حاربت من وراء ساتر .. ومحتميًا بالأنقاض .. كثيرًا ..

ــ لو نمت يا (سوتيه) داخل الخندق فستعلم ساعتها معنى أن .. تُدفن حيًا ..

لكن ليس هذا .. أسوأ شىء ..

ــ ما الأسوأ .. إذن ؟

نطقها (فهيم) وكأنه يخبرنا أن أذنه منتبهة رغم انهماكه فى العمل ..

ــ الأسوأ يا أصدقائى .. أن تهبط عليك القنبلة ، داخل الخندق ..

تند عن (سارة) تنهيدة مفاجئة وكأن تخيل المشهد صدمها ..

ــ لم أكن معهم حينها .. لكنى لم أنج من الصمم الجزئى ..

وفى نفس اليوم استقبلت .. العريف (هتلر) ..

كان مسئولاً عن نقل الرسائل على جبهات القتال ..

بهرنى بإقدامه .. ونشاطه ، وروحه العالية ..

Looloo
www.looloolibrary.com

حتى أنى اشتكيت له ــ بعد أن تذكرنا لقاءنا القديم مع تاجر التحف اليهودى ــ تعرفون أنه لو تم قبول (هتلر) بكلية الفنون التى تقدم لها ، لربما تغير تاريخ العالم ..

أومأنا برؤوسنا موافقين ..

ــ كان الأقل رتبة ، لكنه يتكلم ويتعامل بثقة كبيرة ؛ سببت له المشاكل ..

وصدقنى يا (سوتيه) .. أكثر ما تحتاجه أثناء القتال ، أن تجد شخصًا بجانبك .. واثقًا من النصر ..

(هتلر) ، كان هذا الشخص ..

حتى أنه أقنعنى أن نهبط داخل الخندق الذى تحول لبحيرة دماء وأشلاء صغيرة ..

وقمنا بجمع كل سلاسل التعريف الخاصة بالجنود ، ثم أخذ بياناتها ليسلمها للقيادة ، ومتفائلاً بمستقبل ألمانيا وإمكانيات جيشها قال لى :

(.. إن الجيوش خلقت لكى تحارب .. هذا أمر ضرورى .. الجيش الذى لم يخض ولو حربًا واحدة .. مثل الجراح الذى لم يمارس عملية جراحية واحدة فى حياته ..)

هذا الرجل يحب ألمانيا ويحب الحرب .. يستحق حصوله على وسام الصليب الحديدى مرتين وعلى شارة الجرحى ، يومها قلت له بالنص :

أنت رجل قوى .. ينتظرك مستقبل واعد ..

يا أدولف لويس هتلر ..

.....

ــ احم .. وماذا عن الملف سيد رودج ؟؟ الملف ..

ــ رغم انبهارى بهتلر القائد المؤمن بتفوق شعبه وسعيه الصادق لاستعلاء ألمانيا ..

رغم اقتناعى بعبقريته الحربية وسيطرته على القادة وقدرته على الإمساك بجميع .. مفاصل الدولة بقبضة حديدية ..

إلا أنى .. شهدت من الفظائع ما لا يمكن أن أسكت عليه ..

ــ هل هذه محتويات الملف ؟

ــ هذا الملف يحوى :

وثائق هامة تسجل معلومات عن هتلر وقادته .. قوات العاصفة ، مكافحة الشغب ، البوليس السرى الجستابو ، ..... إلخ ، وعن تصفية الخصوم .. معلومات تؤكد تورط الإنجليز فى اغتيالات دنيئة تبررها الحرب ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ الإنجليز ؟

ـ هذا يفسر سر إصرارهم على الوصول إليك ..

ـ وجرائم قتل جماعية ..

لقد وصل هتلر لحد عظيم من الاستهانة بالحياة .. حين رأى فى حربه الأولى وهو على الجبهات الآلاف يموتون .. ثم تنهزم ألمانيا .. قرر أن تنتصر بلاده .. لكنه اعتبر قتل الناس أمرًا حتمًا ، يفرضه ناموس الكون وقانون التطور ..

من سيموت هو الضعيف الذى يستحق الموت ، وليبقَ الأقوى .. والشعب الآرى بجيشه العظيم هو الأقوى ..

قال فهيم بتهكم :

ـ مات الملايين من شعبه وجيشه الآرى العظيم ..

ـ لكن جيش إنجلترا العظمى .. استخدم أيضًا ـ للحق ـ القوة المفرطة .. إن كان ثمة مذابح فى عهد النازى .. فالأمر الأكيد أنه ليس المسئول الوحيد عنها ..

دول الحلفاء أيضًا مسئولة .. أتسمع عن (مذبحة كراغو بيفاتس)(*) ؟

ـ بالطبع ..

ـ هناك أيدٍ كثيرة اشتركت فيها .. لكن التاريخ يلصق بالمنهزم كل الموبقات ..

ـ حقًا ..

ـ أين وضعته إذن .. آسف ولكن أريد تحديد المعلومة ..

ـ الملف يدين كل الأطراف ، يُسقط الأقنعة ، فالكل يسعى خلفه .. وكل طرف يريد ألاَّ يصل الملف لأحد غيره ..

أما أنا ، فلا أحب أن يصل هذا الملف لأحد ..

وحين قررت أن أحدًا لن يحصل عليه .. كان أمرى قد انكشف .. للفوهلر ..

(*) مذبحة كراغوبيفاتس : أصدر المشير فيلهلم كايتل أمرًا بتاريخ 16 سبتمبر 1941 ، يجرى تنفيذه على كافة أوروبا المحتلة، والذى يقضى بقتل 50 شيوعيًا عن كل جندى ألمانى جريح وقتل 100 منهم عن كل جندى ألمانى قتيل . حيث تعرض الجنود الألمان لهجوم فى أوائل أكتوبر على أيدى البارتيزان الشيوعيين وكانت هذه المجزرة بمثابة انتقام مباشر عن الخسائر الألمانية ، وقد أفاد تقرير ألمانى أنه : تم تنفيذ حالات الإعدام فى كراغوبيفاتس ، على الرغم من أنه لم تكن هناك أية هجمات على أفراد من الجيش الألمانى فى هذه المدينة ، بسبب عدم إمكانية العثور على رهائن كافين فى مكان الهجوم .. « حيث تم إطلاق الرصاص على 5000 شخص » فيما عرف بمذبحة كراغوبيفاتس .

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ دمرته إذن ؟

لم أدمره بيدى لكنى سلمته لرجل أمين ومطيع .. رجل عجوز يدعى هازنباير ..

ـ ماذا ؟ الملف مع صديقنا العجوز .. ونحن نحاول الوصول إليك كل هذا الوقت ....

ـ ولا تتعبوا أنفسكم ..

ذلك العجوز شديد الحرص ولن ينقله لأحد إلا بأمر مباشر منى .. وهو يعلم أنى فى عداد الأموات لأن الجستابو قبض علىَّ ..

ـ إذن ؟

ـ إذن المعلومات فى أمان تام .. إنْ لم يكن أعدمها ..

* * *

24 ـ يـد معـروقة ..

ينهض (رودج) بنشاط لا يتناسب مع حالته منذ قليل ، وكأنه وضع عن كاهليه حملاً ثقيلاً حين حكى ..

ـ بما أن الملف لم يصل لأحد .. هل توافقوننى أن هذا أنسب وقت للعودة ؟

(فهيم) و(دايمون) منهمكان فى إعداد الوصلات ،

فهيم :

ـ لقد بدأت العمل بالفعل ..

سارة تملأ عدة خزانات بلاستيكية كبيرة بالوقود ،

وفردريك يتأكد من الوصلات ، ويكاد يبكى لعدم توافر معاملات الأمان ، بينما أضع أنا اللمسات الأخيرة على الجهاز .

ـ حمدًا لله أنك نجحت فى تهريب الأجهزة المطلوبة ..

ـ لو قام ذلك القائد بتفتيشنا حين دخل علينا غرفة التحكم والاتصال لوجد فى ملابسنا عشرات الوصلات ..

Looloo
www.looloolibrary.com

لكنه كان متعجلاً جدًا فأعطى أوامره بالقبض علينا وأن نتبعه بسرعة ، مهرولين إليكم وكأنه كان يعرف مكانكم ..

ــ عجيب هذا الرجل .. يتصرف وكأنه النسخة النازية من صديقنا (ويلسون) ..

ــ ولمَ لا .. ألم نتركه وحده مع المعمل .. دون أية وسيلة اتصال .. (ويلس) مثلنا .. له خيال واسع .. وربما ..

ــ ربما ماذا ؟

ــ لا يهم .. المهم الآن هل الدائرة مكتملة ؟

ــ نعم .

ــ أنا مشتاق بشدة للعودة لزمنى ..

ــ تعنى العودة للأرض ..

ــ بل تعنى حالتك المادية الكاملة على الأرض .. لا بأس .. المهم أن نغادر هذا المكان ..

ــ وماذا عن رودج ؟

نطقتها سارة مشيرة إليه وقد أعطانا ظهره وكأنه يحمل من الهم ما يشغله عن متابعة ما نفعله ..

ــ أظنه لن يصدق وضعنا .. يكفى أن نغادر .. وسيتدبر هو أمره ..

وبالفعل نمسك أيدينا ونقف على أسطوانة عازلة ونستعد بعد أن يصل العداد لرقم صفر .. كى نضغط زر التفجير الذى سيشحن الجهاز بالطاقة اللازمة ..

كى نركب الأشعة المكثفة ونعود بأسرع من الضوء إلى كوكبنا الحبيب ..

إلى الأرض ..

لكن فجأة .. تمتد يد معروقة لكى توقف التفاعل ..

فتحدث طرقعة خفيفة .. ويلتفت الجميع إلى صاحب اليد ، فى ذهول ... حقيقى ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

25 ـ الدائرة ..

يبدو شبيه (ويلس) هذه المرة بصورة مرعبة ..

احترق جزء من وجهه .. وعلا التراب شعره وحواجبه ..

ومعطفه الثقيل ..

يتراجع (رودج) بحركة عصبية ليوقع المنضدة ..

لكن القائد الألمانى يبتسم :

ـ ليس بهذه السهولة ..

تريدون أن تدمروا عمل السنين ..

ومشروعى العالمى ..

بضربة قوية وتنصرفوا .. دون حتى كلمة تأنيب ..

هاهاها ...

أتطلع ليده القابضة على المفجر .. ولا أحاول أن أحصل عليه ..

لأنى أريد أن أعرف كيف وصل إلينا .. كما أود التحدث معه بالفعل ...

لكنه ودون أن أنطق بالسؤال .. يشرح فى فخر :

ـ كنتم تظنون أنكم ستنجحون فى الفرار من قبضتى بسهولة ..

لا ... مخطئون أنتم ...

لقد ألصقت جهاز التتبع الدقيق بكتف هذا الأحمق .. تحسبًا لأية مفاجآت ..

تعلمون أن لى عقلية علمية جبارة .. تتحسب للمفاجآت ..

وتفترض أسوأ الظروف ..

وهنا يتحسس فهيم كتفه ليجد دبوسا صغيرا مزروعًا بالفعل فى معطفه ..

أما أنا فأسأله باهتمام حقيقى ..

ـ لماذا نحن بالتحديد ؟

ويعلو صوته محتدًا ومكررًا :

ـ لماذا نحن بالتحديد ؟

أنتم فئران التجارب .. تريدون أن تذهبوا بالمجد كله ..

Looloo
www.looloolibrary.com

لكن ، لا ..

أنا رئيس المشروع الزمنى وأنا الأولى بكل الاحتفاء ..

ــ إنه د. / (ويلسون) بالفعل

ــ كيف هذا ؟!

ــ ولكن كيف ؟

فأقول أنا وقد ارتسم الموقف أمام عينى ببساطة :

ــ الدكتور (ويلسون) صنع حضانة إضافية له وسافر فى الزمكان كى يشاركنا المغامرة .. لكنه سبقنا بعدة سنوات ..

ربما 15 عامًا تقريبًا .. كى يمهد لنفسه وضعًا فى الحكومة ..

وهو أمر سهل للغاية ..

إذا راهنت على الحزب النازى وحزت على ثقة هتلر قبل أن يحتل مكانته الحالية ..

ينظر (ويلسون) إلينا بحقد ، ولا يتكلم ..

ــ لكن .. لماذا ... لماذا يا ويلس .. تسعى لتدميرنا بكل هذا الإصرار والعنف ؟

ــ أنتم .. من أنتم ؟

أنتم حفنة حشرات أدهسها فى سبيل تحقيق هدفى ..

أنتم فئران التجارب التى نعدمها بعد إجراء التجربة ..

سارة :

ــ اختر ألفاظك يا هر / ويلس ..

يشير بمسدسه ناحيتها :

ــ رصاصتى قد تكون مقنعة أكثر من الكلام ..

أهتف أنا :

ــ وما هو هدفك العظيم هذا ؟

تلمع عينه فى جشع :

ــ أن أحكم العالم .. أنا أحق من هذا الأحمق بقيادة النازى والأحق بقيادة العالم ،

11 شهر ، قبل أن أتمكن من الوصول إليكم ..

أنتم أذكياء بالفعل ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أنتم فئران أذكياء ...

لكن ما كل هذا الذكاء .. فى مقابل عبقريتى ؟

تدخل فهيم فجأة :

ــ كيف نجوت من الأسرى ؟

وكأن السؤال لم يرق لويلس ، لكنه أجاب بسرعة :

ــ قلت لك ، لا أترك شيئًا للصدفة أيها الغبى ، معى دائرة شلل مؤقت لمن يحاول أن يغتالنى ..

يهمس فردريك :

ــ أرى أن الدائرة لم تحمك تمامًا ..

نبتسم لتعليقه ، لكن ويلس يصيح :

ــ اضحكوا .. ستكون هذه آخر ضحكاتكم ..

* * *

هنا أقرر أن أتحرك ..

وبالفعل ، بقفزة واحدة أكون أمام ويلس

وأقبض على ذراعه بيد فولاذية لأحصل على المفجر ثم أكيل له فى نفس اللحظة لكمة قوية فى فكه .. لكنى لدهشتى .. أجد أنه قوى جدًا ولا تؤثر فيه اللكمة بقوة ..

فيبتسم فى جشع ..

ــ أستطيع أنا أيضًا أن أضيف بعض الصفات يا عزيزى ..

ويدفعنى بقوة فيطير جسدى ويرتطم بالجدار المقابل ..

لكنى أقوم بسرعة وأعود له بعد أن قدرت قوته هذه المرة ..

ونلتحم سويًا ؛ فأتطلع لعينه بإصرار :

ــ لا أريد أن ألحق بك أذى ..

ــ أذى .. نحن فى الحالة الموجية ، أليس كذلك ؟ ..

هاهاها ..

وأنجح هذه المرة فى انتزاع المفجر ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ويساعدنى باقى الفريق فى تثبيت ويلس ، الذى يستسلم فجأة ، ويجلس .. بهدوء قائلاً :

ــ وهل سأقتحم وحدى ؟

إن معى فرقة كاملة تنتظر إشارتى بالخارج ..

ينظر فردريك مــن الشباك فيلاحــظ حركة فى الظــلام بين الأشجار ؛ ليحذرنا :

ــ ربما كان صادقا ..

أما أنا فأجلس أمام ويلس بثيابه النازية ... متجاهلاً تحذير فردريك ..

واضع يدى على ساقه متطلعا لعينه :

ــ د. (ويلس) ..

لماذا كل هذا العنف ؟

أنت شخص آخر ... أنت شخص رائع ..

يقطب جبينه ويبعد يدى ممتعضًا ..

لكنى أواصل :

ــ كلنا نحبك يا سير / (ويلسون) ..

ينظر إلى الفراغ ، فأواصل :

ــ أليس كذلك ؟

مشيرًا لزملائى ..

فتجيب سارة بسرعة :

ــ أنا شخصيًا كنت سعيدة جدًا بالعمل تحت إشرافك ..

فهيم :

ــ وأنا تعلمت منك الكثير ..

فردريك :

ــ أنت تذكرنى بوالدى الحبيب ..

(دايمون) :

ــ أحيانًا أشعر بالحنق من طريقة إلقائك للأوامر .. كأننا العبيد فى مزرعة والدك .. لكنى فى النهاية ... أحبك ..

سارة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أعترف أنه شرف لى أن أعمل معك ..

كان نظره ينتقل بيننا وملامحه تهدأ تدريجيًا ..

فواصلت أنا :

ـ نعم .. شرف لنا جميعًا أن نعمل مع سير / ويلس ..

وكلنا حقًا .. نحبك ..

جاكى الصغيرة .. تحبك ..

بمجرد ذكر اسمها ، يقطب جبينه وينظر للأرض .. ويقول بصوت خانق :

ـ لا .. لن تؤثروا على عاطفتى .. لا ..

أنا أعمل منذ سنوات لتحقيق هذا المركز ..

ـ نعم يا د/ (ويلسون) .. أنت تعمل كبروفسير ، عالم متميز تحت إشراف الملكة شخصيًا ..

يبتسم فى مرارة :

ـ آه .. الملكة ..

تلك العجوز التى لا تقدر إلا المسافرين ..

أما أنا فتطلب منى بوقاحة .. أن أظل فى المعمل وقتًا أطول ..

ـ لا أصدق أن الملكة فعلت شيئًا كهذا ..

ـ مندوبها فعل .. على كل حال ..

ـ من حقك أن تشتكيه رسميًا .. لا يحق له التدخل الفج فى أسلوب عملنا ..

ـ ومع ذلك فالملكة نفسها .. تجلك ..

ـ وجعلتك على رأس الفريق .. ألم تعلم أننى شخصيًا كنت مغتاظًا من موضوع

رئاستك ..

ينظر فى وجهى باستغراب ..

ـ لكنى بعد العمل معك .. تبين لى أن ثمة أشياء كثيرة فى هذا العالم أستطيع تعلمها .. وأنى أستطيع أن أتعلم منك ـ بكل تأكيد ـ أشياء كثيرة ..

ـ نعم .. كلنا تعلمنا منك ..

ـ نعم كلنا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أنا أكثرهم ..

ـ وقد أخطأنا حين لم نعترف برئاستك ..

أنا أخطأت .. وأعتذر عن هذا الخطأ ...

وأكرر أنى أحبك ...

ـ كلنا نحبك ..

ـ نعم .. نحن نحبك جدًا ..

واستطرد (دايمون) فى كلمات شاعرية ربما راقت لـ (ويلس) لكن ليس هذا وقتها طبعًا ..

وهنا تدخل (رودج) الصامت منذ دخل ((ويلسون))

ـ هلا شرحتم لى .. ماذا يحدث ؟

* * *

26 ـ الطريقة السريعة ..

اقتربت منه قائلاً :

ـ فلنتبع الطريقة السريعة :
أنا لست (سوتيه) وهؤلاء ليسوا أفراد مقاومة ..
نحن فريق علمى قادم من الأرض ..

(رودج) :

ـ قادم من الأرض ؟ .. أية أرض ؟!!

انظر إليه بتعجب :

ـ هاه .. لم تندهش لكونى لست فرنسيًا .

رودج :

ـ ولمَ لا !! .. حين تخوض غمار الحروب ، فإنك تحتاج لأمور مبهرة جدًا كى تثير دهشتك ..
لم ترد على سؤالى .. أية أرض ؟!!

ـ نحن ببساطة نطير فى الفضاء بسرعة الضوء .. وكل هذا المكان عبارة عن صورة .. تسبح فى الفضاء ، تنقل تفاصيل الأحداث عن الأرض .. والتى وقعت فى الماضى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ تعنى أننا لسنا على الأرض حاليًا !!

ـ بالضبط ، كل شىء بما فيها الأرض التى تقف عليها ، موجات تنطلق فى الأثير الكونى ..

(رودج) يومئ برأسه متأملاً :

ـ مجرد أطياف ... أطياف تسير بسرعة الضوء .. مع أنها تبدو لى حقيقية وثابتة ..

أجبته وأنا مستغرب من تقبله للواقع بهذه البساطة ..

ـ بالضبط و ...

فيقاطعنى بسؤال مفاجئ :

ـ لكن يا (سوتيه) أو أيًا كان اسمك .. لماذا أنت متأكد هكذا .. أننا الآن نطير فى فضاء الأمواج .. وأن عالمك هو الأساس ؟!

لماذا لا نكـون نحـن الأصل .. وعالمك هو صـورة أخرى ، أو انعكاس مستقبلى لنا ...؟!!

كان السؤال مفاجئًا .. فأنا لم أفكر فى الأمر بهذه الزاوية من قبل ...

لكن عقلى العلمى .. التحم بالفكرة ، لأواصل قائلاً :

ـ ولماذا لا يكون كلا العالمين صورة لمكان آخر .. أكثر ثباتًا وإشراقًا !!

لحياة أخرى أفضل من كل هذه الحروب والمآسى ..

فردريك :

ـ تعنى الحياة الأخرى بعد الموت مثلاً ..

ـ مثلاً ..

رودج :

ـ ولماذا كل هذا الاهتمام بشخصى ؟

يجيب ويلسون/القائد :

ـ نحن نعمل فى خدمة جلالة الملكة إليزابيث .. ملكة بريطانيا المبجلة ..

رفع (رودج) حاجبيه وبدهشة كبيرة هتف :

ـ سمو الأميرة إليزابيث ؟

أين هى ؟ .. وكيف هى .. ؟ .. آه .. كان يجب أن أتوقع .. هى ستفعل أى شىء لأجل إنقاذى ..

ـ ما علاقتك بها ؟؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم وبابتسامة رضًا كبيرة غيرت ملامح (رودج) ، يجلس مرة أخرى ويقول بتنهيدة :

ــ هييه .. إليزابيث ..

ومن مثل إليزا .. !!

أنظر إليه بتعجب ..

وتقول سارة :

ــ هذه تنهيدة الولهان ..

ــ آآآآه .. أنت تعرفت إلى الأميرة إليزابيث(*) ؟!!

رودج :

(*) الملكة إليزابيث الثانية ..... ولدت سنة 1926

تولت الحكم بعد وفاة والدها الملك جورج السادس ، فى 1945 أقنعت والدها بأن يسمح لها بالمساهمة المباشرة فى الجهود الحربية، فانضمت إلى الخدمة العسكرية الاحتياطية النسائية، وعرفت هناك برقم 230873 الملازم الثانى إليزابيث وندسور. وكانت المرة الأولى التى تدرس فيها وتتدرب مع العامة، وبذلك كانت السيدة الوحيدة من العائلة المالكة التى تخدم فعليًا فى القوات المسلحة ..

إن أهم ما يحويه هذا الملف .. يا سوتيه العزيز ..

هو تفاصيل عن الرائعة .. إليزابيث ..

أتوقع ألاَّ تعيش طويلاً ..

إنها شديدة الجرأة ..

ولا بد سيكون لها أعداء كثيرون ..

ــ خاب توقعك .. لقد عُمِّرت طويلاً ..

فى الواقع هى حية .. حتى الآن ..

ــ حية !! هذا خبر رائع ..

ــ وهذا يفسر المتابعة غير العادية لمشروع التحرك الزمنى ، وإصرار مندوب الملكة على التدخل فى كل شىء ..

ــ يفسر أيضًا تحولك النفسى ضد الرايخ ..

ــ أن تكون الملكة هى من جندتك .. الآن عرفنا قيمة الملف الحقيقية .. بما يحويه من معلومات عن جلالتها ..

ــ وعرفنا أيضًا قيمة (رودج) الحقيقية ..

وهنا حاول ويلس أن يتكلم لكنى قاطعته ــ كعادتى ــ فى فضول علمى غير عادى .. ؛ لأقول :

ــ أتعرف يا رودج ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ونظرت للدكتور (ويلسون) / القائد .. كالمعتذر عن المقاطعة ..

ــ أتعرف يا د. (ويلسون) .. ما الذى يثبت نظرية (رودج) عن الانعكاس المستقبلى أو ينفيها .. ؟

ــ ماذا ؟!

أواجه (رودج) بجسدى لأقول بثقة :

ــ أن تأتى معنا ..

ــ آتى معكم ؟!!

ــ نعم .. أن تأتى معنا إلى الأرض ..

ــ دعك من هذا وقل لى .. لماذا اخترتم الجانب الأكثر عرضة للخطر ؟

جانب المقاومة ..

لماذا لم تنتحلوا شخصيات كبيرة عند النازى .. تمكنكم من الحصول على كل المعلومات .. وبأية وسيلة ..

ــ أولاً .. اختراق صفوف المقاومة وإقناع الثوار المتحمسين .. أسهل بكثير من اختــراق صفوف العسكر ، وإقنــاع القادة المتشككين ..

ثانيًا .. لقــد اخترنا الجــانب الذى تنتمى أنت له .. ليسهل الوصول إليك .. أليس كذلك !!

ــ يسهل الوصول لى ..

أم للملف ..

ــ حان وقت العودة يا شباب ..

فأكملت أنا :

ــ هيا .. سنعود كلنا الآن ..

لكى نسجل تجاربنا ونحظى بالتكريم اللائق ..

تحت إشراف د / ويلس ..

وكأنه منوّم .. يقوم معنا ولا على وجهه تعبير واضح ..

ثم نشغل الجهاز ..

وفجأة .. أهتف من بين الجميع :

ــ أين أنا ؟ ..

فيهتف الفريق :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لا .. ليس الآن ..

وتحاول سارة أن تشرح أى شىء لى وأنا مذهول للغاية ..

والجهاز يعمل بالفعل ..

لكن ويلس ينسحب فجأة تاركا الدائرة ..

ـ د. (ويلسون) .. ماذا تفعل ؟

ـ ليس هذا الوقت المناسب لعودتى ..

ليس الآن ..

* * *

27 ـ المعسكر واحد ..

انطلاق الجهاز يحدث فرقعة عظيمة .. مصحوبة بومضة هائلة ، ولون سماوى مشعٍ .. ببريق يعمى الأبصار ..

كل هـذا فى ثانية أو أقـل .. يعقبها اختفاء د. (سالم) والفريق ..

وفى مقابل الدهشة المسيطرة على رودج .. يتجه (ويلسون) إليه بنظرة حملت دهاء الكون ..

أخرج من جيوبه مسدسًا صغيرًا .. وأصفادًا .. لتتسع عين رودج ويهتف :

ـ ألست مواطنًا إنجليزيًا ؟!!

لماذا تسعى لتثبيت أركان النازى ؟!!

وبحركة عصبية ، انقض على ويلس صائحًا :

ـ لا ... لن أعود للجستابو مرة أخرى ..

وصوت أقدام الجنود الألمان يعلو ويقترب ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لن أعود .. حيًا ..

لكن ويلس يبتعد متفاديا الانقضاضة .. ويهتف مهدئا رودج ..

ــ اهدأ يا صديقى ..

يجب أن أقبض عليــك أمامهم .. ثم أرتــب أمر هروبك فيما بعــد .. أو حتى تلفيق حادثة لموتك .. لكن الآن ، إن لم أضعك هنــا ..

ويشير بيديه للأصفاد ..

ــ فسوف يقتلونك بمجرد دخولهم ..

يقف رودج متشككًا :

ــ ثق فى يا رودج .. نحن فى نفس المعسكر ..

يدخل الجنود مجموعة غرف فارغة مما يعطلهم قليلاً .. لكن الأصوات تقترب أكثر ..

رودج :

ــ كيف .. وأنت تريد أن تحتل القيادة .. وتصبح الزعيم الأوحد ؟!!

ــ هاه .. أنت قلتها كى أحتل القيادة .. يجب أن ينهزم القائد الحالى .. لا وقت لدينا للشرح ..

ــ وأنا لن أسلمك نفسى ..

ــ إذن باختصار .. أنا محتاج لك جدًا .. ستحل محل (سوتيه) وتصبح زعيم المقاومة الأكبر .. الضابط الألمانى الساخط .. الذى ثار على تعنت القيــادة وانضم للآخرين .. سأتركك مع المقاومة وأساعدك بالمعلومات .. بل .. سألفق حادثة لموتك كى لا يبحث عنك الفوهلر .. بعد اليوم ..

ــ ماذا تستفيد من ذلك ؟

ــ آآه .. قلت لك .. أن أسعى لهزيمة هذا المتعجرف ..

ثم تبرق عينه بجشع :

ــ لكن بالطريقة التى أريدها .. وليست كما كتبها التاريخ .. أقسم لك .. وحق (يسوع) أنا وأنت فى معسكر واحد ..

ــ لكنى لن أضع هذه الأصفاد فى يدى ..

ــ إن كان هذا يريحك .. لا بأس ..

Looloo
www.looloolibrary.com

يرتفع صوت الطرقات لدرجة مزعجة وينهار الباب ، ليقتحم الجنود الغرفة الدافئة .. ويجدوا القائد الألمانى واقفا بثقة .. مصوبًا مسدسه الصغير إلى كرسى المنضدة ، الذى يجلس عليه (رودج) .. ولكن ، دون أية أصفاد ..

ننطلق بسرعة الضوء .. ثم أكبر منها ؛ كى نعود كلنا إلى الأرض عبر الزمكان ..

نخرج من الحضانات ..

لكنى أقف أيضًا مذهولا ..

لا أذكر شيئًا ..

حتى بعد أن قصَّت علىَّ سارة أحداث الـ 11 شهرًا كاملة ..

* * *

28 ـ هنـا وهنـاك ..

د. (ويلسون) ينتظرنا فى المعمل بابتسامة واسعة .. وفى دهشة حقيقية تهتف سارة :

ـ د. (ويلسون) هنا !! .. ألم نتركك هناك ؟

ـ كيف ؟!

ـ هنا على الأرض وهناك فى فضاء الأمواج ؟

ـ ربما ظل عشرات السنوات بعدنا لكن الفارق بين سرعة الضوء وطول الموجات التى نسافر بها يتسارع بعجلة طردية كما تعلمون ..

وبالتالى لو زاد تحميل الأشعة المتراكبة لتزيد سرعتها ، سوف يلحقنا أو يسبقنا ، رغم أنه انطلق بعدنا بعدة سنوات ..

ـ تمامًا مثل سيارة سريعة تصل قبل الحافلة ،رغم أنها انطلقت متأخرة ..

ـ تشبيه جميل ..

ـ ألا تشعر بالحزن لأنك لا تذكر شيئًا عن تجربتنا فى السفر ؟

لقد كانت رحلة رائعة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ سوف أحاول معالجة هذا الوضع .. كى تعود الذاكرة مع صعوبة ذلك لأنها فقدت أثناء الحالة الموجية ..

ومع ذلك لو لم تعد فسيكون هذا ــ كما أخبرتك ــ قدرى ..

إذن هو أفضل وضع بالنسبة لى ..

فلماذا الحزن ؟

ــ يا لها من فلسفة حياة ..

ــ ليست فلسفة .. إنه الإيمان يا عزيزتى ..

* * *

29 ــ المبجلة ملكة إنجلترا ..

نحتفل جميعًا مع د. (ويلسون) ..

الذى يكرر اعتذاراته لنا جميعًا ، فنبتسم ونبادله الدعابات ..

وحين يدخل علينا مندوب الملكة المتعجرف ..

نعتذر له .. ونخبره أننا فى إجازة .. بإمكانك أن تمر علينا غدًا صباحًا ..

ونقفل فى وجهه الباب ..

ونضحك كثيرًا ..

ويضحك معنا (ويلسون) الذى يقول :

ــ لكن يا جماعة هذا مندوب جلالتها ..

وكأننا أقفلنا الباب فى وجهها هى ..

فنجيب عليه :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لا تقلق يا دكتــور .. كنا نظن أننا فى حالة أخرى غيــر الحالة المادية ، اعذرينا جلالتك ، لقد مكثنا لفترة طويلة .. فى حالة أخرى فى الزمكان ..

اقبلى اعتذارنا ..

ولا تنسى جلالتك .. أننا ... نحبك ...

سارة :

ــ ما يثير دهشتى أنى بحثت فى جميع المراجع المتاحة والمواقع المتخصصة ، بل وسألت أصدقاءنا بالجامعة قسم التاريخ .. ولم أعثر على أى ذكر لمحاولة ناجحة لاقتحام الجستابو وتحرير الأسرى داخله ..

سالم :

ــ هذا أمر متوقع .. سوف يتكتم النازى على الموضوع بشدة وسيكذب أى خبر حوله .. هو يمتلك الآلة الإعلامية الكاملة ..

الناس يجلسون فى مقاعد المتفرجين على المباراة ومن داخل منازلهم .. لو نقلت لهم الكاميرا صورة مزيفة لهدف .. وصوت مزيف لهتاف جمهور وانطلق المعلق يشيد بالهدف ــ الذى لم

يدخل أساسًا ــ واحتلت صورة الهدف الزائف جرائد الدولة ، فسيصدق الجميع أن ثمة هدف بالفعل .. حتى لو أقسم لاعبو المباراة أنفسهم ألاَّ هدف ..

أليس هتلر صاحب العبارة الشهيرة (أعطنى إعلامًا فاسدًا .. أعطيك شعبًا مغيبًا)

سارة :

ــ لكن ماذا عن الأسرى أنفسهم .. المفترض ان ينشروا الخبر بمجرد العودة لفرنسا ..

هذه فضيحة عالمية وترفع شأن المقاومة وروحهم المعنوية ..

سالم :

ــ معنى هذا أنهم لم يعودوا لفرنسا ..

ــ أى أنهم لم يتمكنوا من إكمال عملية الهرب وتعقبهم جنود النازى واصطادوهم فى الأدغال ..

ــ ربما .. وربما لم يحدث هذا على الأرض أساسًا ..

ــ ماذا تعنى ؟!!

ــ أعنى أن تدخلنا فى الأحداث بالهيئة الطيفية ، ربما غير مجراها .. فأخذت منحنًى آخر ..

Looloo
www.looloolibrary.com

(سارة) وقد التمعت عيناها :

ـ أتعنى أننا غيرنا تدرج الأحداث فى الماضى ..

ـ غيرناها فى الزمكان وليس على الأرض ..

ـ هذا أمر مثير للغاية ..

بابتسامة أبوية ولهجة أريحية خالية من التكلف يقول د. (ويلسون) :

ـ كم أوحشنى المعمل .. وأنتم .. أنتم أيها المشاغبون .. كم أوحشتمونى ..

تبتسم سارة وتجيبه بتلقائية :

ـ يبدو أنك قضيت بعدنا وقتًا طويلاً .. بروفسير .. لأننا فى الحقيقة تركناك .. بالأمس فقط ..

سالم :

ـ ولكن فى بزة قائد ألمانى .. متعجرف ..

قل لى يا د. (ويلس) .. هل تسير الأحداث فى الهيئة الموجية كما وقعت على الأرض ؟

د. (ويلسون) بابتسامة ماكرة :

ـ لقد قضيت وقتًا ممتعًا بعد رحيلكم .. ولا أنكر أن جلسة العلاج النفسى الجماعى فى ذلك اليوم كانت مفيدة لى ..

ـ لكن ماذا حدث بعد أن تركناك ؟

ـ احك لنا ..

مفتخرًا .. يجيب :

ـ آه .. د. (ويلس) يمتلك الآن الكثير من المعلومات .. المعلومات التاريخية ..

ـ مثلاً .. هل انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة هتلر ؟

ـ آه .. هذا أمر يطول شرحه .. ثمة تفاصيل كثيرة ، ربما أقصها عليكم ـ تلامذتى ـ فى وقت لاحق ..

Looloo
www.looloolibrary.com

30 ـ (رودج) مرة أخرى ..

فى صباح اليوم التالى لعودتنا من الرحلة الأولى ..

وكنت شبه بائت فى المعمل بالأمس ..

نتأهب لمواصلة العمل الجماعى وتحسين كل عيوب الجهاز .. ألاحظ اختلافات طفيفة فى أماكن الأشياء .. فأصيح :

ـ ألم آمر من قبل بعدم استخدام الأجهزة فى أوقات راحتنا ؟

ـ تعنى ممنوع تشغيلها ، إلا فى وجودك ..

ـ المعمل كله مسخر لمشروع التحرك الزمنى .. ولا شىء غيره ، ونحن الفريق الوحيد المسئول ، لا أحب أن يعبث بمكتبى أحد ، حتى لو كانت أمى التى ترتبه وتنظفه ..

لقد تم تشغيل الجهاز .. فى عدم وجودنا ..

هذا تدخل سافر فى عملنا .. أنا لا أقبله .. وسأقدم الشكوى لرئيس المركز باسمنا جميعًا .. موافقون .. بالطبع ..

فى مساء اليوم ، وأنا أغادر مبنى المركز الضخم ، أصطدم برجل يرتدى معطفًا عتيقًا ، وحين أطالع وجهه ، ينعقد لسانى ..

بسبب الشبه الكبير ..

لكنه يتركنى مغادرًا بسرعة ..

دون أن أتمكن من سؤاله ..

عن سبب هذا الشبه الكبير ..

بينه وبين الضابط الألمانى ..

العزيز (رودج) .. !!

(تمت بحمد الله)

Looloo
www.looloolibrary.com

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

فى كل رواية متعة دائمة !!

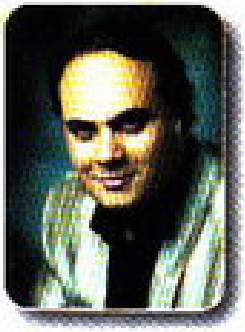

د/ حسام صبرى

014/8/21

آلة الزمن

لكن يا (سوتيه) أو أيًا كان اسمك .. لماذا أنت متأكد هكذا .. أننا الآن نطير فى فضاء الأمواج .. و أن عالمك هو الأساس ؟! لماذا لا نكون نحن الأصل .. وعالمك هو صورة أخرى ، أو انعكاس مستقبلى لنا ..؟!! كان السؤال مفاجئًا .. فأنا لم أفكر فى الأمر بهذه الزاوية من قبل ..

الخط الساخن
19350
للشكاوى - الاقتراحات - للدعم الفنى - للتواصل

العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم